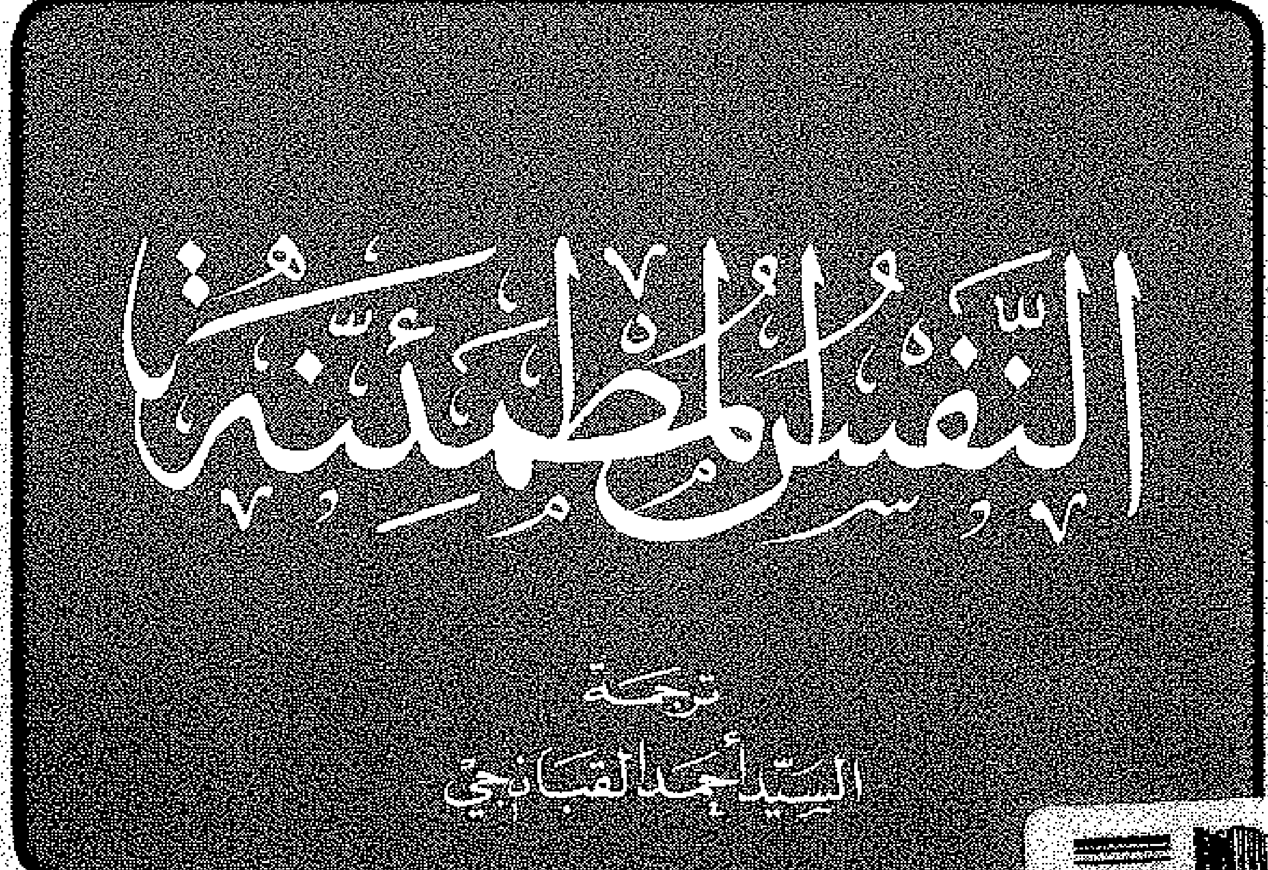
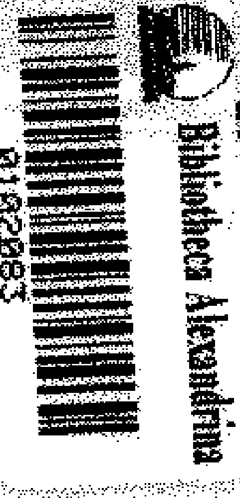
الشهيد آية الله دستغيب



النفس المطمئنة

ترجمة

السيد أحمد القبانجي



الدار الإسلامية
بيروت



الطبعة الثالثة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ٥٦٨ / ١٤
فرع ثاني : حارة حريك ـ مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

النفس المطمئنة

تأليف

الشهيد آية الله دستغيب

ترجمة

السيد أحمد القبانجي

الدار الإسلامية
بيروت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لا تقولوا ماذا قدمت لنا الثورة ، بل ماذا قدمنا نحن للثورة » .

هذه الكلمة الحكيمة يوجهها إلينا حكيم الثورة الإسلامية ومعلمها الرباني الشهيد المطهري رضوان الله عليه ، وهي على بساطتها تحمل أرفع المعاني في طياتها .

إنه يرسم لنا بوضوح ويحدد لنا الميزان الذي يجب أن نتعامل به

مع ثورتنا ومع إسلامنا ، وهذا الميزان وهذا الموقف العملي من الثورة يختلف عن جميع مواقف الثوار من ثوراتهم ، حيث دأب أصحاب المبادىء والثورات أن يتعاملوا بمبدأ الأخذ والعطاء . . إنه يعطي لثورته ومبادئه بقدر ما يستفيد منها ويعود عليه بالنفع في آخر الخط . .

وليست الثورات التي قامت في بعض أرجاء العالم ببعيدة عن الأذهان . . ويعرف الجميع ما انتهت إليه الثورة الفرنسية والروسية وغيرهما من تكالب وتناحر على السلطة . وكذلك نعرف ما انتهى إليه نضال الذين يدّعون أنهم أصحاب مبادىء وحريات وحقوق وغير ذلك .

ولكن الحديث عن الثورة الإسلامية ورجالها شيء آخر ، نعم فهي ثورة من نوع فريد وعظيم . وأعظم ما فيها هو رجالها . أولئك الرجال الذين طبقوا مبادئها على أنفسهم أولاً ، وأخص بالذكر هنا مبدأ العطاء غير المحدود من دون مقابل ، إنهم أعطوا وأعطوا حتى الرمق الأخير ولم يفكروا يوماً واحداً بالأخذ .

مبدأ العطاء في مقابل ماذا ؟

هل يستطيع أحد من رجال سائر الثورات أن يدعي الإخلاص للمبدأ والثورة حقاً ؟ أن يضحي في سبيل ذلك دون مقابل ، هل بإمكان أحد أن يدعي خدمة الشعب دون أن يحسب حسابات المستقبل وما

ينفعه وما يضره ، كيف يمكن للإنسان أن يضحي وينفق ويعطي وهو لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا ، ولأجل من يعطي ؟!

العطاء في الثورة الإسلامية له مفهوم خاص ، إنه لا يقع في مقابل الأخذ أو في الطرف المقابل من المصلحة الخاصة ، إنه يعني بكل وضوح الذوبان في المبدأ والتفاني في حبه حتىٰ أنه يرىٰ نفسه لا يزال مديناً له مع كل ما قدم من تضحيات وكل ما قام به من إيثار وجهاد .

الأخذ في هذا القانون هو العطاء بنفسه ، إنه يحس بلذة العطاء ولذة التضحية لأنه مخلص في عطائه ومخلص في حبه ، وهذا هو شأن كل محب صادق في حبه .

وبما أن الثورة كلها عطاء وخير فينبغي أن يكون رجالها كذلك ، فلا يصح أن يقول أصحاب الإمام الحسين (ع) ، ماذا استفدنا من الثورة ، إنما نحن الذين نقول ذلك ونتطلع إلىٰ عطاء الثورة الحسينية علىٰ مدىٰ التاريخ ، أما أصحاب الحسين (ع) مثل حبيب بن مظاهر وزهير بن القين ومسلم وغيرهم فهم أصحاب الثورة ، ويكفيهم أنهم أصحاب ثورة وأصحاب عقيدة ، ويكفيهم أنهم عاشوا حياة الشرف والفضيلة ونالوا درجة الشهادة .

العارف الذي حصل على الجواب :

وأذكر حكاية أحد العرفاء ليتضح المقصود أكثر ، حيث ينقل عن

أحـد العرفـاء أنه كـان لا يفتأ عن ذكـر الله عز وجل، وكان لسـانه يردد باستمرار : يا الله . . . يا الله . . يا الله . . وكانت هـذه الكلمة هي دعاءه وذكره وتوسله وهي غذاءه الروحي وتعني كل شيء بـالنسبة لـه ، إلا أن الشيـطان صعب عليـه أن يـرى هـذا الـرجـل عـلى هـذا الحـال فاشتد في إغوائه ليمنعه عن الذكـر حتىٰ ألقىٰ إليه يـومـاً بـهـذا السؤال : إلىٰ متىٰ تظل تنادي دون أن تحصل علىٰ جواب ؟ـ

توقف هذا العـابد بـرهة وأخـذ يفكر، وقد ملك عليه هـذا السؤال أفكاره وهواجسـه . تأثـر كثيراً لـذلك ورجـع إلىٰ بيته حـزيناً مـطرقاً ، نعم لقد ناديت كثيـراً ولكني لم أحصل لحـد الآن على جـواب واحد . . ونام علىٰ فراشه باكي العين ، فما لبث أن رأىٰ في المنام من يقول له :

ـ لمـاذا تركت ذكـرنا ونسيتنـا . فـأجـاب بأني قـد ناديت كثيـراً فلم يجبني أحد . فقيل له :

ـ لقد كان نداؤك لنا بنفسه جوابنا لك .

وانتبه من النوم ولسانه يلهـج بذكـر الله ، وعاد قلبـه ينبض بالحب وعلم كيف يجيب الله عباده، فإن نفس التـوفيق والهداية إلىٰ طريق الخير هو أحسن جواب وخير عطاء .

آية الله دستغيب شهيد المحراب :

وهكـذا كان شهيدنا آية الله دستغيب ، فقد كـان رجل السيـاسة

والمحراب . . رجل العلم والعمل ، فلو ألقينا نظرة بسيطة على حياة هذا الرجل العظيم والعارف الرباني لما وجدنا غير الإخلاص والعطاء ، حياة طافحة بحب الله والجهاد في سبيله والعمل الجاد على رفع كلمة الإسلام وهداية الناس إلىٰ طريق الخير . ولا أريد أن أتعرض في هذه المقدمة إلىٰ أعمال شهيد المحراب طيلة عمره الشريف ولا يتسع المجال لذلك ، إلا أني أشير إلىٰ ما أتحف به الأرواح العطشىٰ من محاضراته القيمة والوفيرة ، وكتاباته في مختلف مجالات التربية الفكرية والنفسية، وتطهير القلوب من أدران المادة والأنانية وحب الدنيا .

أجل ، لقد كانت مؤلفات شهيد المحراب تغذي المكتبة الإسلامية بالفكر الإسلامي الأصيل ، ولا شك أنها أعطت للثورة زخماً قوياً وتحركاً جذرياً، حيث كان الشباب المتعطش لله يجد ضالته المنشودة في كتب هذا العالم الجليل وفي أشرطة التسجيل لمحاضراته التي كان يلقيها في الجامع العتيق في مدينة«شيراز»، عندما كان يتكفل إرشاد الناس وتربية النفوس في مختلف المناسبات، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك طيلة الخمسين عاماً من وجوده المبارك في تلك المدينة إلىٰ أن نال درجة الشهادة علىٰ أيدي أعداء الله من المنافقين، وهو في طريقه إلىٰ محراب صلاة الجمعة رحمه الله .

كتاب « النفس المطمئنة » :

والكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم هو أحد عشرات

الكتب التي غذى بها شهيدنا الغالي الفكر الإسلامي والروح الإسلامية والجيل الثوري من أبناء الثورة الإسلامية .

وهذا الكتاب على صغر حجمه هو في الواقع مدرسة لتهذيب النفس، وهذا هو العلم الحقيقي . فإضافة إلى المعلومات القيمة يمتاز أسلوب الشهيد آية الله دستغيب : أنه مصداق لمقولة (إن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلب) فهذا الشهيد السعيد بلا شك هو صاحب النفس المطمئنة، وسوف ترى بنفسك هذا الأسلوب الفذ في مخاطبة الروح . إنه يخرج لك العلم بالعمل ، أي أنه يعطيك الفكرة ويعطيك الطريق .

وبالرغم من أن كتب الشهيد رحمه الله هي كتب تربوية بالدرجة الأولى إلا أن القارىء لا يجد في نفسه أدنى ملل أو صعوبة في تقبلها ، فالملاحظ على كتب المواعظ والأخلاق هو كونها ثقيلة ومتعبة غالباً ، إلا أن مواعظ شهيد المحراب تختلف عنها كثيراً في هذه الميزة ، إنه يجذب الإنسان إليه بكلماته العذبة وبيانه الساحر . إنه باستمرار يحكي لنا قصصاً من واقع حياتنا ، وهذه ميزة أخرى تزخر بها كتب المؤلف ، أجاد صياغة أسلوبها لما يراه من قوة تأثيرها وعموم فائدتها لجميع أفراد المجتمع كما هو واضح من أسلوب القرآن الكريم في تعليم الناس وتربيتهم .

وهكذا لا يكتفي الشهيد رحمه الله بأن يعلمنا من علومه، بل نراه

يأخذ بأيدينا بكل حب وإخلاص ويفيض علينا من نفسه المطمئنة وقلبه السليم ما يساعدنا في سفرنا الطويل والبعيد .

أحمد القبانجي

١٥ جمادى الثانية ١٤٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين (ع) المصداق الكامل للنفس المطمئنة :

في رواية عن الإمام الصادق (ع) حول نزول الآيات الأخيرة في سورة الفجر :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ أن هذه الآية الشريفة نزلت في حق جده الحسين (ع) وهذا الحديث لا ينافي عمومية وشمول الآية ، إنما هو لبيان الفرد الأكمل والمصداق الأتم لهذه الآية وهو الإمام الحسين (ع) لذلك تسمى سورة الفجر : سورة الحسين (ع) .

وفي روايات أخرى تقول بأن الذي يداوم على قراءة هذه السورة في الصلاة الواجبة والمستحبة سيحشر مع الحسين (ع) ، لذلك نجد أنه من المناسب توضيح هذه الآية لنعلم مطابقتها مع الحسين (ع) وكذلك نفهم مدى مطابقتها لنا ولأعمالنا . وأرجو أن تتوضح الحقائق التي تتضمنها هذه الآيات بصورة جيدة .

آخر المراتب في المسيرة التكاملية للإنسان : ـ

﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ﴾ النفس المطمئنة آخر مراتب التكامل البشري ، والنفس الأمارة هي أول تلك المراتب ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ وبعد أن تدخل في تيار الحركة التكاملية تصبح نفساً لوامة ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ .

وبعد ذلك تصل إلى مرحلة الإلهام ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ وتكون النفس الملهمة ، وتستمر في التكامل حتى تصل إلى مرحلة الاطمئنان النفسي ، وهذه الأخيرة أيضاً لها مراتب ، والراضية والمرضية هي آخر درجاتها التكاملية .

هذه النفس المطمئنة إلى الملكوت الأعلى بجناحي العلم والعمل الصالح ، فهذه خلاصة أربع حالات ومراتب للتكامل النفسي .

حالات مختلفة لنفس واحدة : ـ

هناك ملاحظة نلفت إليها انتباهك وهي أن النفوس الأمارة والملهمة واللوامة والمطمئنة ليست موجودة بأربعة وجودات وإنما هي نفس واحدة ولكنها تختلف باختلاف الحالات . فنفس كل إنسان على أقسام أربعة بإعتبار حالاتها ومسيرتها التكاملية ، وكل قسم له عدة مراتب أيضاً .

في البداية يجب أن نفهم النفس الأمارة ما هي ؟ في المراحل الابتدائية النفس الإنسانية لها حالة آمرة وذلك قبل طلوع نور العقل في الإنسان (الأمارة) صيغة مبالغة للأمير . . فالنفس تحاول التحكم والتسلط وليست مستعدة لأن تتنازل عن هذه الحكومة وتعترف بعبوديتها وذلتها .

العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل والأنبياء عليهم السلام ترشدها إلى أن الله واحد وعالم ومقتدر ومحيط بالعباد ، ولكن النفس الأمارة والتي تعتبر نفسها هي الحاكمة لا تخضع أمام السلطان الإلهي ، وليست مستعدة لأن تعترف بعبوديتها ، وتحاول أن تتخلص من تحمل المسؤولية بمختلف الحجج والمعاذير

عدم الاعتراف بالعبودية : ـ

أنت كنت نطفة . . فانظر إلى جهاز جسمك العظيم وانظر إلى

عظامك . . إلى عروقك وشرايينك . . إلى معامل الكبد العجيبة والتي تؤدي اثنتي عشرة وظيفة . . جهاز القلب وتصفية الدم . . إلى الكلية والمعدة . .وانظر إلى جهاز الحنجرة والقصبات الهوائية . جهاز الإدراك . . الحافظة والحس المشترك . . انظر إلى القوة الواهمة . . هل تكونت هذه الأجهزة العظيمة لوحدها ، وهل يصدق وجدانك ؟

ولكن بما أنها أمارة فهي تتذرع بالحجج وتدوس على الوجدان ، تسير خلاف الفطرة . . تتمسك بالشكوك والشبهات من أجل الا تعترف بالعبودية . . وهي أمارة لا تريد أن تتحمل مسؤوليتها .

أما بالنسبة إلى المعاد فكم تطرق أسماعنا نداءات الحق : أيها الإنسان أنت لا تفنى بعد الموت أو تصبح عدماً . بل أنت موجود ومحكمة العدل الإلهية موجودة ، وكل شخص سوف يصل إلى جزاء أعماله ويرى نتائج أفعاله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهذه النفس تسمع البراهين والأدلة على المعاد ، والتي يذكرها القرآن المجيد . . سورة الواقعة مليئة بأدلة المعاد وكذلك في آيات أخرى من القرآن .

أمارة : لأنها غير ملتزمة .

ولأنها أمارة فهي لا تريد أن تترك الملذات . . فالذي يطمح بالوصول إلى المقامات العالية والباقية أن يقيد لسانه وبصره وسمعه ، أما النفس الأمارة فهي تريد أن تبقى حرة ، ومن أجل ذلك فهي

تنكر القيامة وتقول : من الذي رجع من ذلك العالم وجاء بالخبر . تريد أن تتنعم في هذه الأيام المعدودة ، أن تعيش حرة وغير ملتزمة ، إنها تريد أن تكون غنية وتجمع الأموال الطائلة . فلو كانت تعتقد بالمعاد فكيف يتسنى لها جمع الأموال واكتنازها . والشخص الذي يعتقد بالمعاد كيف يتصرف بأموال الأوقاف و . . .

الأمارة تريد أن تجمع الأموال، فهي لا تستسلم إلى مسألة المعاد ولا تقبل بالمسؤولية الإلهية وتبتعد عن المحرمات ، بل تريد أن تملأ بطنها من الحرام ، أن تكون غير مقيدة وتتصرف بحرية ، وهو ما لا يتلائم مع الأعتقاد بالمعاد فلذلك تقول : إن هذه الاعتقادات رجعية وهي أمور قديمة ومتحجرة . . كل هذا ناتج عن أمارية النفس ولأنها تريد أن تكون هي الحاكمة المطلقة بدون قيود ، الحلال والحرام قيود على الأعمال ، أما الأمارة فإنها تريد أن تأكل كل ما تصل إليه ، سواء كان من أموال اليتيم أو الغش في المكيال أو الجناية . . . تريد أن تتمتع بالنظر فتتطلع إلى كل ما لا يجوز النظر إليه ، ولأنها أمارة فهي لا تحب أن تكون حكومتها وأماريتها مقيدة .

لذلك تسمعون أن أمارية نفس الكافر هي عين كفره ، فهو يريد أن يكون حاكماً مطلقاً ، ويصل الأمر بالإنسان ونفسه الأمارة أن ينصب نفسه في مقابل رب العالمين ، ويريد أن يتحكم بالسماوات والمجرات ويسيرها وفق رغباته .

نـفس ازدرهـا اسـت او كـي مـرده اسـت
از غـم بي آلـتي افـسـرده اسـت

النفس تدعي الربوبية والألوهية ، فهي تفرح إذا كانت الأشياء كما تحب وتشتهي ، ويحتويها الحزن والغيظ إذا حصل ما يخالف مزاجها .

اعتراض النفس الأمارة على القضاء والقدر : -

الإنسان الذي يلهث وراء كسب الثروة والأموال وتساعده الأيام على تكديس الثروة يعتقد أنه هو السبب في الحصول على هذه الأمور : أنا الذي بفكري ، بلسعات قلمي ، بقدرة أذرعي عملت كذا فحصل كذا .

أما لو جرت الرياح بما لا تشتهي سفنه ، كما إذا تلفت أملاكه واحترقت أو تضرر فسوف ينزعج ويتألم ويضطرب بشكل غير مألوف . يقول إن العالم يجب أن يسير وفق ما أشتهي وأريد ، ففي بعض المسائل التي يكون فيها القضاء والقدر الإلهي على خلاف رغباته وميوله فسوف يعترض على القضاء والقدر ، فلو أن ابنه مات فسيقول : إنه أخذ ابني الشاب وترك ذلك العجوز .

ولو كان بإمكانه أن يهجم على ملك الموت ويقطعه إلى أشلاء عديدة لفعل .

الله العالم هو المدبر : ـ

عندما يقولون للنفس : أيتها النفس إن لهذا العالم مديراً ومدبّراً ـ الحمد لله رب العالمين ـ المربي والمدير لعالم الوجود هو الله . وكل شخص ـ في أية درجة من درجات الوجود ـ أمره بيد رب العالمين المنزه ﴿ الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ جميع مراتب الوجود بيده ، الحياة والموت بإذنه ، فهو الذي يحيي ويميت ، وبدون إذن الله وإجازته لا تخرج الروح من هذا الجسد . والله بحكمته البالغة يقدّر صلاح كل عبد ، فكل ما كان هو المقدر له .

فيا أيها الذي ذهبت أمواله وتلاشت أملاكه، لا تتصور أنك كنت مستقلاً في اكتساب تلك الأموال . لا تكن كافراً فكل الأمور بيد مدبر الأمور « يا مدبر الأمور » .

إلهك أراد لك الصلاح يوم أعطى ويوم رأى من الصلاح أن يأخذ ، لا تكن نفسك أمارة وتجعل نفسك مقابل إلهك وخالقك ، لا تجعل مصلحتك مقابل صلاح الله ، يجب أن يستسلم الإنسان ولا تكن لديه حالة اعتراض على إرادة الله سبحانه وتعالى .

« كل ما جاء به خسر و فهو جميل » (مثل فارسي) : ـ

موت الأولاد حادث من الحوادث التي قدرها الله وعلم أن من

الصلاح أن يموت في هذا العمر ، فلماذا تعترض ؟ لا تنس الجزاء والثواب الإلهي فأجرك عند الله ، ولا تحزن أن تعسول غداً فربك ورازقك موجود ، وما تدري ما خفي عنك من المصلحة والحكمة ، فكلما يراه صالحاً لعبده يجري به المقدرات ويمضيه .

في عالم الوجود لا تسقط من ورقة إلا بإذن رب العالمين ، كذلك موت الأولاد لا يكون إلا بمشيئته وإرادته ، وإذنه في ذلك هو عين الصلاح والمصلحة وإن كان الإنسان لا يدرك ذلك .

عندما يقولونَ : أيتها النفس كوني صابرة وشاكرة فهذا لا يعني أننا نقول بالجبر بل هو (أمر بين الأمرين) إنه ليس جبراً بل الاختيار باقٍ لكنه مشروط بإذن الله ، فإذا قصدت أن تؤدي عملاً فأنت تستطيع ذلك إذا كان معه إذن الله .

كل الحوادث مسجلة في اللوح المحفوظ قبل أن تقع وتقدر المقدرات فيجب أن نرضى بذلك التقدير ، ولكن النفس الأمارة لا تخضع لهذه الحقيقة وغير مستعدة للصبر والشكر .

الجزع الناشيء من الاعتراض حرام : -

في باب تجهيز الأموات نجد أن عويل وبكاء صاحب المصيبة إذا كان بشكل الأعتراض على القضاء والقدر الإلهي فهو حرام ، فشق الجيب واللطم على الرأس والصدر من المحرمات إذا كان ذلك

اعتراضاً على إرادة الله ، وهذا مذكور في الرسائل العملية .

لأجل موت أبيه أو أمه العجوز نجد الشخص يقيم الدنيا بصراخه وعويله ، ولو أنه التفت قليلاً لوجد أن بقاء الأب والأم يجعله في النهاية يتمنى موتهما ، فما أصعب رعايتهما إذا أصبح حالهما كالحالة الأولى يجب تنظيفهما باستمرار . إن أخذه قبل أن يصل العجز إلى هذه الدرجة هو إراحة له وإراحة للآخرين منه ، فلماذا يعترض الإنسان على جهاز الخلقة ؟ فالذي أعطاه الروح هو الذي أخذها منه .

أمارية النفس وجهنم الفعلية : -

في حالة الاعتراض على القضاء والقدر تبرز النفس الأمارة . عند ذاك يكون الإنسان كافراً بالله ومشركاً بالله وساخطاً لقضاء الله وهذه أتعس الحالات وهو لا يعلم . لا توجد انتكاسة روحية أقبح من الاعتراض على القضاء والقدر الإلهي وأن يكون مع الله في تساؤل لماذا حدثت الزلزلة ؟ ولماذا لم يسقط المطر ؟ هذه هي جهنم الفعلية كما أن التسليم والرضا هو الجنة الحقيقية ، فإذا حصل لديه الإيمان بالله فهو السعادة والراحة الحقيقية .

مريض بالعمى والفلج لكنه شكور : -

في رواية عن موسى بن عمران عندما أراد من الله أن يريه أحب

الخلق إليه فأوحى الله إليه أن اذهب إلى المحل الفلاني وسوف تراه ، فلما جاءه وجد رجلا أعمى ومفلوجاً وفي نفس الوقت مريض أيضاً . اقترب منه موسى وجلس يسأل عن حاله فسمعه يسبح الله « يا بار يا وصول » .

مع كل هذه المصائب من فقدان البصر والأرجل مع ذلك يشكر الله على نعمه ويذكر فضله وإحسانه .

سأله موسى « كيف تشكر الله وأنت على هذه الحالة » ؟ فقال :

(أعطاني عيناً لمدة من الزمان ورفعت بذلك حوائجي ، ولكي لا أنظر المناظر المحرمة والمسببة للغفلة . . لكي لا تقع عيني على حرام ، أخذ عيني . .

أعطاني رجلاً وقد استفدت منها،وبعد ذلك أخذها حتى لا أذهب إلى مكان حرام .

وأيضاً أعطاني نعمة لم يعطها إلى أي أحد في هذه القرية التي أنا فيها،فكيف لا أشكر هذه النعمة؟

فسأله موسى : أي نعمة أعطاك ؟ فقال : نعمة الإيمان .

الجسم سالم ولكن القلب مضطرب :-

تشاهدون شخصاً سالم الجسم ولكن النيران ملتهبة في قلبه ،

أماريته وكفره بالله حوّل باطنه إلىٰ جحيم ، فما أكثر ما يحرم النوم في الليالي بسبب التناقضات الناتجة من رغبات النفس وحكومتها .

يجب أن يؤمن بالله ويتخلص من النفس الأمارة ، ويترك ميوله وشهواته جانباً ، وأول علائم ترك الشهوات النفسية أن يلوم نفسه إذا صدر منه ما يخالف العبودية ويتألم لذلك ، وهذه أول علائم الإيمان ، وهو أن النفس أصبحت لوامة يلوم نفسه دون الآخرين كما تقول الرواية .

ما أحسن أن يكون للإنسان واعظ باطني : ـ

حاسب نفسك بنفسك ، فلو نصحك شخص آخر وكانت نفسك أمارة فسوف تغضب وتتكبر ، ولكن لو خرجت من النفس الأمارة فسوف تتألم بمجرد أن يصدر عنك ما يخالف العبودية ، وسوف تلوم نفسك : ما هذا الذي عملته ؟ ما هذا الكلام الذي تكلمته ؟ أستغفر الله ، إلهي سامحني واعف عني .

﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ هذا هو أول ظهور العبودية ، فإذا وجدت في نفسك هذه الحالة فاشكر الله لأنك سرت في طريق الإيمان ، سرت على صراط عليٍّ المستقيم ، ويجب أن تستمر على هذه الحالة أي تلوم نفسك كلما صدر منك خطأ .

بعض الفضلاء الكبار يقومون بتصرفات عجيبة في لوم أنفسهم

مثلاً لكي يزجر نفسه ويؤدبها فيصمم أن لا يشرب الماء البارد لمدة سنة لأنه أرتكب الذنب الفلاني .

إلهام النفس الحسن والقبح : -

بعد ذلك يصل به الأمر إلى درجة الإلهام ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ يفهم الحسن من القبيح ويعلم ما هي الحسنة وما هي السيئة . وقبل الوصول إلى هذه الدرجة ما أكثر الأعمال الحسنة التي يعملها ، لكنها تحمل ذنوباً في الباطن سواء كانت رياءً أو عجباً أو غروراً وغيرها ، أما مع وصوله إلى مرحلة الإلهام فسوف يكون بعيداً عن هذه الأمراض ، ثم يرتفع حتى يصل إلى النفس المطمئنة يطمئن بالإيمان وبالحق ، لا تعتريه لحظة من التزلزل في الليل أو النهار ، ولا أثر لحكومة النفس ولا وجود للشهوات والميول النفسية بل رضا الله يحل محل تلك الميول والشهوات ، نعم : إن الملائكة تدخل بمجرد أن يخرج الشيطان .

المطمئن إلى الله في حالة سكينة . الله ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾[1]

---

(١) سورة الفتح الآية : ٤ .

نتائج الإطمئنان بالله : ـ

السكينة من السكون والهدوء . فليس هناك اضطراب أبداً هناك عباد الله بحيث إذا ملكوا الدنيا بما فيها ثم زال عنهم دفعة واحدة فكأنه مثل ريشة كانت معلقة بهم وأزالتها عنهم الرياح فليس لذلك أي أثر في نفوسهم . هو يعلم أن الله هو المعطي وأن رزقه من الله ، جئت إلى الحياة بأيد خالية وسأرحل عنها كذلك ، وفي أثناء ذلك هو المتكفل لرزقي وإطعامي ما دمت حياً .

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

التاجر الخاسر والحاج المقدس : ـ

يمكن أن ندرك قدر هذه النعمة مع ملاحظة المحرومين منها . فقبل ثلاثين أو أربعين سنة كان في مدينة شيراز تاجر مقدس ومن أهل صلاة الجماعة ، وبعد ذلك اتضح أن صلاته وعبادته كانت جافة وبعيدة عن الحقيقة ـ هذا التاجر أفلس بعد ذلك وأصبح جليس الدار يبيع من أثاث البيت ويرتزق من ذلك .

في أحد الأيام أخذ يفكر ويحسب أن الأمر لو استمر به على هذا المنوال : كل يوم يبيع من أثاث البيت ويصرف ثمنه على معاشه ، فكم يستطيع أن يستمر على ذلك ؟

وتوصل إلى أنه بإمكانه أن يستمر على ذلك ثلاث سنوات أخرى ولكن الوهم لم يتركه ، بل أخذ يفكر فيما بعد ذلك وماذا سيفعل بعد تمام السنوات الثلاث : هل سأجلس على قارعة الطريق وأمد يدي إلى الناس ؟ ولكي يتخلص من ذلك انتحر بالسم .

كمال الاطمئنان في الإيمان : ـ

هذا التاجر حاج مقدس، لكنه لم يصل إلى مرحلة الاطمئنان وبقي على كفره بالقضاء والقدر الإلهي وذهب في النهاية مع كفره .

لا تستصغرون هذا المطلب بل هو روح وعين الحق وحقيقة الإيمان ، يجب السعي للوصول إلى مقام الاطمئنان لأنه ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ فكمال السكينة والاطمئنان في الإيمان .

اطمئنان الحسين (ع) في يوم عاشوراء : ـ

هنا أبين تطبيق هذه الآية على الحسين (ع) ، فهو المصداق .

الأكمل والأتم للنفس المطمئنة ، من الأمور المذكورة في كتب المقاتل بأن الحسين (ع) في اليوم العاشر كان وجهه المبارك يزداد إشراقاً مع كل مصيبة نازلة . اطمئنان عجيب بالقضاء والقدر والمشيئة الإلهية ظاهر في سيمائه ، لأن الحسين (ع) على يقين من أن هذه الحوادث والمصائب هي بإذن الله ومشيئته ، ولوجود المصلحة فيها فالله أمضاها ، يعني لم يمنع من وقوعها .

وهذا لا يعني الجبر بل أن رب العالمين أراد أن يتحمل الحسين (ع) هذه المصائب باختياره لكي ينال أعلى درجات الكمال وعلو المقام المتاحة للبشر ، كذلك أراد لقاتليه أتعس الشقاء وسوء العاقبة لسوء اختيارهم .

هينٌ لأنه بنظر الله : ـ

الحسين (ع) يرى طفله الرضيع ـ واقعاً عجيب ـ يقتل وهو على يديه ، هذه المصيبة حقاً تهز الجبل وتصعق الإنسان ، لكن الحسين صاحب النفس المطمئنة يقول : « إنما هوّن علي ذلك أنه بعين الله الناظرة » .

هذه المصيبة العظيمة التي تمزق الأكباد وتحرق القلوب هينة وسهلة لأن الله هو الناظر لها والمثيب عليها .

حتى اللحظة الأخيرة كان هكذا مع الله ، والله أيضاً يوجه الملك

والملكوت إلى الحسين (ع) ـ الحسين يتوجه إلى رب العالمين وجميع العالم متوجه إلى الحسين (ع) : إن التقلبات التي وقعت في عالم الوجود مخصوصاً في ليلة يوم عاشوراء والتي سوف تقع بعد ذلك شاهد على ما أقول .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ﴾ [1]

صدق الله العلي العظيم

الجسم وعاء الروح : ـ

كان الحديث في معرفة النفس . ففي البداية على الإنسان أن يسعى لمعرفة نفسه حتى يتمكن أن يتعرف على المبدأ . . يفهم أن

(١) سورة الحشر الآية ١٩ .

هـذا البـدن وهـذا اللحم والجلد والعـظم والشـرايين هي آلـة ووسيلة لعمـل الروح ، يعني أنـه مخلوق لأجـل الـروح والنفس ، فهـذا البـدن مخلوق بـالتبع ، والهـدف من الخلقة هـو الكمالات الـروحية التي يجب أن تـظهر بـواسطة هـذا البدن . . العلم والعمـل للنفس بواسطة هذا البدن . . . بواسطة هذه العين ترى جزئيات العـالم وتدرك من خـلال ذلـك الكليـات . . بـواسـطة هـذه الأذن تسمـع النفس نغمسات هـذا العـالم ، وتشم بواسطة الأنف الروائح الطيبـة في هـذا العـالم وتـدرك بذلك الصانع لها .

العين والأذن وسيلة لإدراك عظمة الحق : ـ

الخلاصة أن هذا البدن وسيلة لإدراكـات الروح التي تـدرك الأمور الكلية من خلال إدراكهـا للجزئيـات ، تفهم عظمـة الخالق من خـلال ما ترى وتسمـع وتشم وتنطق بـ (الله أكبـر) اللسان ينـطق بما أدركـه عقله ، يـرى عظمـة الله من خلال الكـرات السماويـة اللامتنـاهيـة ، الحركات المنظمة والمنيـرة لها يبصـرها ويفهم ببصيـرة عقله ما هي تلك القـدرة الإلهية الخـارقة التي حـركت هذه الأجـرام العظيمـة بإرادتهـا ، هنـاك ينطق لسـانه بمـا أدركه عقله بـالتسبيح والتقـديس قائـلاً : (الله أكبر) .

ما يدركـه يرى أنـه من نعم الله ويعلن هذا الإدراك للنعمـة بقولـه

« الحمد لله » قصدي أن البدن بالنسبة إلى روح الإنسان بمنزلة الأداة .

فعالية الروح بواسطة الأعضاء : ـ

كل شخص وكل متعامل بحاجة إلى أدوات لعمله وكسبه ، روح الإنسان بحاجة إلى وسيلة لاكتساب الخيرات طيلة المدة التي تعيشها على هذا التراب .

إذن فهي بحاجة إلى يد ورجل ، ومع عدم وجود اليد فكيف بإمكانها أن تحمل شيئاً من الأرض . . . عندما تريد أن توصل خيراً فلا بد من لسان لكي تستطيع أن تصلح به بين الزوج وزوجته . . وعندما تريد أن تطفىء نار الفتنة فإنه لا يمكنها أن تأتي بهذا العمل الخير مع عدم وجود اللسان . مع وجود الأقدام يستطيع الإنسان التوجه إلى المساجد والمعابد ومجالس الوعظ والتفسير ويحصل على المعارف الإلهية .

الغرض أن هذا البدن أداة للروح ، والقوة العلمية والعملية للروح تكمل ببركة هذا البدن ، فإذا عجز هذا البدن عن العمل فسوف لا تصل الروح إلى كمالاتها ، وببركة هذا البدن الذي سخره الله للروح وجعله مطيعاً لها تصل الروح إلى كمالاتها .

جسم عالم الوجود وقدرة الحق : ـ

جسم الإنسان بالنسبة للروح مثل جسم العالم بالنسبة للقدرة اللامتناهية والارادة الأزلية ، فكما أن الله بمجرد أن يريد تتحقق إرادته ، كذلك الروح بالنسبة إلى هذا الجسم المخلوق بهذه الصورة فبمجرد أن تريد الروح شيئاً يتحرك البدن لتلبية هذه الارادة .

فاعرف قدرك وتعرف على إلهك وخالقك .

إن هذا البناء العظيم مع مئات القوى والأجهزة الظاهرة والباطنة من عين وأذن وذائقة وشامة وحافظة ومخيلة وواهمة وجهاز القلب والكبد والمعدة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وغيره ، هذا البدن مع كل هذه التشكيلات موضوع في خدمة روحك .

نفوذ مشيئة الروح في البدن : ـ

عندما تريد أن تتحرك نحو شيء ما فسوف تقوم بالحركة طبيعيا عندما تريد السير فلا حاجة لأن تقول لأقدامك سيري وإنما هي تسير لوحدها . أو أردت أن تدخل يدك إلى جيبك فسوف تدخل يدك إلى جيبك فوراً بدون أن تقول لها ادخلي الجيب ، إذا أردت أن تدير نظرك فستفعل ذلك بدون أن تكون محتاجاً إلى أمر . ونفوذ إرادتك في

جميع أعضاء جسمك نموذج صغير على نفوذ المشيئة الإلهية في عالم الوجود .

نموذج من قدرة النفس الناطقة : -

الشيخ الرئيس في كتابه « الشفاء » يذكر نكتة لطيفة سبق وأن ذكرتها ، يكتب أن الناس تتعجب من المغناطيس كيف يجذب مثقالاً من الحديد ويتعجبون منه كيف يجذب إبرة ، في حين أن العجب في روحك هذه كيف استطاعت أن تجذب هذا البدن الثقيل .

النفس الناطقة تجذب إليها خمسين أو ستين كيلو غراماً بمجرد أن تريد وتحركها بأي اتجاه تحب . ما أعظم القدرة التي أعطاها الله لهذه النفس الناطقة ، ما هذا النفوذ للمشيئة ؟

الروح تؤدي عمل عدة أشخاص : -

عندما يموت الإنسان وتقطع النفس الناطقة علاقتها بالبدن ، نحتاج إلى عدة أشخاص لينقلوا هذا البدن من مكان إلى مكان ، البدن الذي يحمله أربعة أشخاص مع مشقة وتعب ولمسافة قصيرة أيضاً،فما هي الروح؟وكيف هي؟من هي النفس الناطقة التي تحمل هذا الجسم الثقيل بهذه السهولة ومنتهى الراحة تتحرك وتركض،لماذا لا

ترى عمل الله ؟ قل الله أكبر كيف أن الله سخر لي هذا الجسد ؟ في البداية تعرف على نفسك وروحك وحقيقة ذاتك المجردة ، ثم بعد ذلك على صانعها .

الحس المادي ناقص : -

بعض الجهال يقولون : كيف نصدق بأمور لا تراها أعيننا ؟ كما أن بعض الماديين قالوا ويقولون بأننا لا نرى سوى اللحم والجلد فكيف نصدق بوجود النفس والروح ؟ وهذا الكلام مثل ما يقوله الجهلاء ومنكرو وجود الخالق : من أننا كيف نصدق بوجود خالقٍ لا يرى ؟

هذا الكلام ناشيء من عدم الشعور ، فهل يصح أن تنكر وتكذب كل ما لا تراه عينك؟إذا لم تحس بشيء معين فيجب أن تقول بأن حسي ناقص لا أن ذلك الشيء غير موجود ، فما أكثر الأشياء التي لا تستطيع العين أن تراها لشدة لطافتها .

الهواء والكهرباء لا تراهما أيضاً : -

هل يوجد من ينكر وجود الهواء ؟ في أي مكان لا يوجد الهواء لا يمكنك الحياة ، وسوف تختنق ، فهل رأت عينك الهواء ؟ ومن مسلمات علم الفيزياء أن الماء مركب من عناصر أولية فيه الأوكسجين

وفيه الهيدروجين ، فمع أنه مركب لكن فالعين لا تراه ، فكيف الأمر بالنسبة إلى الموجودات اللطيفة ؟

والقوة الكهربائية موجودة في جميع هذه الأسلاك إلا أنها لا ترى بالعين أيضاً .

الأثر يدل على المؤثر : -

من جملة الموجودات اللطيفة العقل - عندما تقول لأي شخص يا عديم العقل فسوف تؤذيه . والآن أين هو العقل ولماذا لا يرى ؟ مع أننا نتيقن بوجوده . وجود كل شيء يعلم من آثاره « البرهان الآني » ندرك المؤثرعن طريق الآثار . عندما نعثر في الشارع على آثار عجلات أو أقدام فسوف نفهم أن سيارة أو أن إنساناً مرّ من هذا الطريق .

خلق آخر للروح : -

نفسك موجود مستقل ، منور ، فعّال . وباقٍ ببقاء الله .

في القرآن المجيد عندما يقرر أن الروح مخلوق غير البدن هكذا يعبر ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾[1] فمن بعد أن كان نطفة ثم علقة ثم

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٤ .

مضغة وأخيرا كتمل البدن فنوجد خلقاً آخر ونعطيه الروح .

روحك ليست هي الجسم الذي يدفن تحت التراب ، غير اللحم والجلد والتي تمرض وتضيع وتنقص .

لا تفكر في بدنك إلى هذا الحد ، فكر في روحك أيضاً، فحقيقتك هي روحك، وهذا البدن مثل السيارة تحت أقدامك وأداة عملك .

الشهداء أحياء خالدون : ـ

القرآن المجيد لكي يفهمنا بقاء الروح يقول : **﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾** .

فالحقيقة هي أن الروح عند الموت كأنها نزلت من مركب البدن ، وبتعبير الإمام الصادق (ع) : أنها كالطير الذي يتحرر من قفصه ويبقى القفص تحت التراب ، أما كيف حال ذلك الطير ؟ .

الروح باقية ببقاء الله : ـ

علي (ع) يقول : « رحم الله إمرءاً عرف نفسه » عرف بأنه ليس حيوانا وحقيقته شيء آخر ، والنفس باقية ببقاء الله وهذا الجسم خادم ومسخر لها . الفعاليات التي أعطاها الله للنفس هي مظهر الفاعلية والقدرة الإلهية ، القدرة الإلهية ظاهرة في هذا البدن فكيف تنفذ إرادة النفس في هذا البدن فكذلك الله أيضاً « يا من نفذ في كل شيء أمره » .

جسم العالم مخلوق من قبل الله : ـ

جسمك هذا مع أنه ليس مخلوقاً لك ومع ذلك تجد لإرادتك هذا النفوذ فيه ، فكيف بجسم العالم الذي هو مخلوق لله أيضاً ؟ كيف نفوذ أمر الله فيه ؟ ففي مقابل إرادة الذات المقدسة ، الأحدية تكون الإطاعة التكوينية في ذرات وجود العالم أكثر ، فالمعدوم يصبح موجوداً والموجود معدوماً والمتصل يصير منفصلاً والمنفصل متصلاً .

الإدراكات أثر الروح في البدن : ـ

لأجل أن تتضح أكثر فاعلية وفعالية الروح بالنسبة للبدن نوضح مسألة تغاير الروح والبدن ببيانات متعددة ، ونقصد بذلك أن الروح غير البدن .

قلت بأن معرفة الشيء تكون بمعرفة آثار ذلك الشيء، فالعين، والأذن لا تستطيع إدراك الروح المجردة ولكن يمكن أن ندرك ذلك من آثارها .

الإدراكات من آثار الروح على البدن، فعندما تصطدم قدمك بحجر أثناء السير أو تصيب قدمك شوكة فستعلم بذلك فوراً وهكذا كل حادثة تقع ستدركها الروح في الحال ، وهذا نموذج لعلم الروح بما يجري على البدن ، وكما أنك تعلم بالحوادث التي تصيب بدنك فكذلك الله الخالق للروح والبدن يعلم بصورة أكمل وأتم ، ولا يخفى

عليه أي شيء يجري في جسم العالم .

في كل زاوية من زوايا هذا العالم لا تقع أية حادثة إلا بإذنه ومشيئته .

الحافظة دليل على تجرد النفس : -

الروح ليست مادية، إنظروا إلى جهاز الحافظة والذي يحتفظ بكل ما رآه الشخص أو سمعه وأحسه من أول عمره وكذلك كل كلام نطق به . إذا أراد أحد أن يحسب الكلمات التي قالها لحد الآن وما رآه وسمعه ولمسه وذاقه بالتأكيد سيكون رقماً خيالياً . إذا أردت أن تكتب ما تكلمت به لمدة ساعة واحدة فكم سيكون ؟ أما إذا أردت أن تكتب كل ما قلته وسمعته وتسجله على الورق فكم يلزمك من الألواح وأي مكان يتسع لها ؟ واقعاً شيء محير ! .

لا تزاحم بين المدركات : -

ولكن ما هذه النفس الناطقة التي تجتمع فيها كل هذه الإدراكات بدون تزاهم ؟ لو سألت أحداً : من هذا الشخص الذي رأيته في اليوم السابق ؟ فسوف ترجع إلى مسؤول الأسناد والخزانة وتريد منه التحقيق والبحث وتشتغل الحافظة لتعثر أخيراً على ما تريد .

وطبيعي أن قوة الحافظة غير متساوية عند الجميع ، فالنسيان يختلف بإختلاف حافظة الأفراد ، فعند البعض كثير والبعض الآخر قليل .

سعة النفس والإدراكات غير المتناهية : -

أليس هذا دليلاً على أن ذات النفس ليست مادية ؟ فالنفس من حيث السعة بحيث تستطيع أن تحتفظ بكل هذه الإدراكات والمحسوسات دون الاحتياج إلى مكان لتجميعها والاحتفاظ بها .

ولاجل أن يتوضح الموضوع أكثر أذكر لكم قصتين خطرتا على ذهني . لتغيير جو الحديث، وللتعرف أكثر على الروح وفعاليتها وقدرتها النافعة، وتتضح لنا كيفية حكومة النفس على الجسد .

معالجة « خوارزم شاه » بالعلاج النفسي : -

قيل إن«خوارزم شاه»ابتلي بمرض الفلج وعجز الأطباء عن علاجه بعد ذلك أرسل وراء عمر بن زكريا الرازي والمعروف في ذلك الوقت وبعد إحضاره عرضوا عليه الأدوية والعقاقير السابقة،وهو بدوره قام بتمريض الشاه ولكن بدون جدوى .

وبعد تفكير عميق رأى أن هذه الأدوية السطحية غير نافعة لمعالجة مثل هذا المرض، فلا بد من اللجوء إلى قوة الروح لحل هذه المعضلة،فقد كان عالماً وخبيراً جداً ، فهمّ أن يعالجه بالعلاج الروحي ويستفيد من قوة النفس .

التفت زكريا نحو السلطان وقال : - اكتب لي أماناً لكي أتمكن من علاجك بالطريقة التي أراها . وبعد أن أخذ الأمان أمر أن يجهزوا الحمام وتكون درجة حرارته باختياره هو ، ثم أمر أن يسخنوا الحمام

إلى أقصى درجة من الحرارة دون أن يجعلوا لـه أي منفذ للهواء، ثم أمر أن يضعوا السلطان في وسط الحمام ، ويجردوه من ثيابه ويجلسوه على أرضية الحمام الحارة ويتركوه بعد أن يتركوا خزانة الماء[1] في درجة حرارية عالية أيضاً .

مضت عدة ساعات على السلطان وهو جالس وحده في شدة الحر الذي لا يطاق، حتى لانت مفاصله وسخنت عظامه .

وفجأة دخل زكريا الحمام وبيده سيف مسلول وهو يكيل له أقذع الشتائم بهياج عجيب، ويقول أنا الذي رسمت هذه الخطة لأصطادك لوحدك وأقتلك أيها الظالم سأقطعك بهذا السيف قطعة قطعة، وهجم عليه .

ومن شدة خوف «الشاه خوارزم» وهلعه قفز من مكانه وألقى، نفسه في خزانة الماء طلباً للنجاة .

فالذي كان مصاباً بالفلج ولم تنفع معه العقاقير البدائية تمكن من الشفاء والحركة بطريق العلاج الروحي، فنفس الخوف والرعب الناشيء من القوة الواهمة هو الذي دفع بجسده نحو الحركة .

وبمجرد أن ألقى بنفسه في الخزانة خرج زكريا من الحمام بسرعة وركب فرسه وهرب ، وبعد أن خرج الخوارزم من الحمام ولبس ثيابه استدعى زكريا فقيل له إنه هرب، فأرسل وراءه من يبحث عنه ويأتي

---

(١) بركة ماء ساخن ـ تستعمل في الحمامات القديمة .

به كي يخلع عليه جائزة .

فلما وجدوه قال لهم : لا حاجة لي بالجائزة وأخاف أن يكون غاضباً مني من أجل تلك الشتائم .

العلاج النفسي أقوى : -

مقصودي هو قدرة الروح ، هذه القوة الوهمية والخيالية للروح قوية وفعالة بدرجة عجيبة ، بحيث إنها أقوى من جميع الأسباب الخارجية كالأدوية وغيرها .

وبالعكس من ذلك أيضاً يمكن أن يكون الإنسان سليماً لكن بالتلقين النفسي يمرض ويموت .

إعدام بواسطة قدرة الروح (أو القوة النفسية) :

يذكر في الكتب أنه كان هناك شخصان محكومان بالإعدام ، وقد عصبوا عيني أحدهما وأجلسوه أمام الآخر ، ثم وخزوا جسمه وأخذ يسيل منه الدم حتى مات بعد ساعة أو ساعتين .

وبعد ذلك جاء دور الثاني وعصبوا له عينيه ، ولكن لم يقطعوا له وريده وإنما مروا عليه بالسكين ، فتصور أنه جرح وأن الدم ينزف منه مثل رفيقه .

واستمر في هذا الخيال ، خمس دقائق مرت ثم عشر دقائق وهكذا حتى مضىٰ وقت بمقدار ما مر على رفيقه فسقط ومات .

التلقين النفسي يسبب المرض أو يداويه : -

الأطباء الجدد يهتمون بمسألة التلقين أيضاً ، فهناك أجنحة خاصة لمعالجة الذين يمرضون بالتلقين ـ وكذلك تلقين الصحة مؤثر في السلامة أيضاً ، حتى أنه يقال في الملدوغ هناك أمل في تحسن حاله ما دام لا يعلم بعضة الثعبان ، وحين يعلم ذلك يصعب الأمر .

ولعل السبب في ذلك هو أن الخوف والرعب من عضة الثعبان يؤثر في ضغط الدم ويجعله يصل إلى القلب أسرع ويفعل فعله .

أنا وأنت لسنا هذا الجسد، وهذا الجسد مركب لنا، وحقيقتنا غير قابلة للظهور لأنها غير مادية ولكنها تعرف من آثارها ، ومن آثارها حركة هذا الجسد وأعمال الروح في هذا البدن ، قوة الحافظة من آثار الروح وشاهد على تجرد وبقاء الروح .

لا يمنعها عمل عن عمل : -

من البراهين على تجرد الروح وقدرتها هو أنه لا يشغلها شأن عن شأن، فالروح لا يلهيها عمل عن أداء عمل آخر، أنت تضع اللقمة في الفم، وتدرك حلاوة الطعام، الأسنان تمضغ . . . الذائقة تدرك . . وتتكلم أيضاً وفي نفس الوقت عيناك تنظران وأذناك تسمعان، ففي وقت واحد العين ترى والأذن تسمع والأسنان تمضغ والذائقة تذوق واللسان يتكلم، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون الفكر مشغولاً ويسأل الحافظة مثلاً بأن هذا الطعام هل هو أطيب من ذاك الطعام وما

هي خصوصياته ؟ وفي الوقت الذي يكون الجسد بجميع أجزائه مشغولاً فالإحساس يعمل ، والقلب يدق ويتنفس ، وتعمل جميع القوى الباطنية والهاضمة .

تعدد منافذ التنفس حكمة إلهية : ـ

من حكم الله سبحانه وتعالى أن جعل للتنفس طريقين، وجعل أحدهما على سبيل الاحتياط بحيث إذا عطل أحدهما قام الثاني بالواجب . منافذ الأنف مستعدة للعمل بحيث إذا كان الفم ممتلئاً بالطعام فلا حاجة لأن يخرج اللقمة باستمرار ويتنفس ثم يدخل اللقمة مرة أخرى .

ثقبا الأنف لها حكمة أيضاً،فمن الممكن أن يصاب الإنسان بالزكام ويغلق أحدهما فيمكنه أن يتنفس بالآخر .

في حالة النوم وعندما يكون الفم مغلقاً يجب أن يتنفس من الأنف ، وفي بعض الأحيان يغلق كلا ثقبي الأنف ، فطريق التنفس سيكون من الفم الذي له اتصال كامل بالمجاري التنفسية .

الخلاصة أن الإنسان في وقت واحد تصدر منه مئات الأعمال حتى يعرف ربه ويدرك قدرته القاهرة .

قدرة الله تتجلى عند الموت . ـ

« يا من في الممات قدرته » .

الأدعية والمناجاة الواصلة إلينا من أهل البيت مليئة بالحكم والحقائق بحيث يتمكن الإنسان أن يحصل ببركتها على علوم ومعارف ويصير رجلاً إلهياً .

من جملة هذه الأدعية دعاء « الجوشن الكبير » الذي يحتوي على أسماء الله الحسنى، والمداومة على قراءته مع التوجه جيدة خصوصاً في شهر رمضان المبارك وليالي القدر .

أذكركم بجملة واحدة منه وهي « يا من في الممات قدرته » فكل من يريد أن يفهم قدرة الله عليه أن يذكر ساعة الموت، فعند الممات تعرف ما هي قدرة الله .

العجز بعد القدرة :

هذا الإنسان هو ذلك الذي يرفع ثلاثين كيلو غراماً ، ساعة كاملة ، ويتحدث بلسانه هذا على المنبر ، أما الآن فهو يريد أن يقول كلمة واحدة « لا إله إلا الله » ولا يتمكن ، فما الذي أصاب هذا اللسان ؟

آنان كه بيك زبان دوصد سخن ميگفتند
آياچه شنيدند كه خاموش شدند
رو بگورستان دمى خاموش نشين
آن سخن گويان خاموش راببين

« أولئك الذين كانوا بلسان واحد يتحدثون مئات الأحاديث فما الذي سمعوه حتى سكتوا ؟ توجه إلى المقبرة الساكنة بهدوء ، لتشاهد

أولئك المتحدثين ساكتين وقد صمتوا » .

كيف كان الظالم بهذه الأيدي يضرب المظلوم ، أما الآن فالبعوض يحيط على وجهه وهو غير قادر على دفعه ، فبعد الآن اليد لا تستجيب لأوامره ولا تطيعه ، اللسان لا يتحرك ، وهذا الذي كانت أقدامه تتحرك بمجرد أن يشاء هو الآن ضجيع ، ولا شيء من أعضائه يمتثل لأوامره ، يتمنى أن يقوم بعمل ما ولكن لا قدرة له بعد الآن !

في ساعة الموت يكون معلوماً أن القدرة لم تكن قدرته ، في ساعة الموت يتضح أن القدرة كانت قدرة الله ، إنما كنت تخدع نفسك .

لا تغتر إذا أصبت شيئاً من الأموال أو الرئاسة ، فكرسي الرئاسة يقصم ظهر الإنسان ويسلب حظه ، إنه يتصور أن كل شيء هو ملك له .

بهلول في المقبرة وجماجم الموتى : ـ

وزير هارون الرشيد مر إلى جانب مقبرة ورأى بهلول وحيداً بين المقابر ، وهو مشغول بنقل العظام اليابسة من مكان لآخر ، فسأله : ماذا أنت صانع يا بهلول ؟ فأجاب : إنني أصنف الموتى ! أريد أن أفصل بين الرؤساء والمرؤوسين ، بين الوزراء والحجاب والخدم ، ولكني لم أتمكن ، فهذه الجمجمة لا تختلف عن تلك الجمجمة ، وقبورهم تتشابه أيضاً ، وبهذه الكلمات كان ينصح هذا الوزير .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾[1]

صدق الله العلي العظيم

العين الحيوانية ترى الجسم فقط : -

كان الحديث في بيان تطبيق معرفة النفس بمعرفة الله . وقد ورد في الحديث المشهور عن النبي الأكرم (ص) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقد ذكرت له عدة تطبيقات ومن جملتها هو عدم الإبصار ، يعني أن عين الإنسان لا يمكنها أن ترى الله ، وليس لها أن تنكر وجوده لمجرد أنها لا تراه ، لأن رؤية العين الحيوانية مرتبطة

(١) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

بالجسد ، هذا الجسد الذي يشغل حيزاً من الفراغ والجسم الكثيف ذي الظلال .

لا يمكنك رؤية ذاتك : ـ

ولأجل إدراك هذا المعنى ارجع إلى نفسك ، فهل يمكن لشخص أن ينكر نفسه باستثناء من أصيب بالأوهام أو أصبح سوفسطائياً ، وإلا فالعقل حاكم بأنها موجودة ، فهل يمكنك أن ترى نفسك يعني أن ترى نفسك الناطقة ؟

وهذا الذي تراه فهو الجسد والمركب ، أما المدير لهذا الجسد والمدبر له ، ذلك الذي يدرك الكمال هو مجرد وليس بجسم ولا يرى بالعين ، فخالق هذه النفس بطريق أولى لا يرى بالعين .

البحث في علامات الوجود : ـ

فكما أن النفس تعرف من آثارها فالخالق لهذا العالم يعرف من آثار صنعه وأفعاله ومراتب خلقته ، ويحصل به اليقين .

النطق والبيان والحركات الحاصلة في البدن من آثار الروح ، فمع عدم وجود الروح فالجسم جماد .

آثار الخالق أيضاً على أبواب وجدران هذا العالم ، وكل الأشياء علامات على وجود وعلم وقدرة الله سبحانه وتعالى .

النفس المجردة لا تحتاج إلى مكان : ـ

من وجوه التشابه في حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » هو مسألة الأينية والمكان المحيط بالجسد ، فالنفس ليس لها مكان، وخالق العالم أيضاً لا مكان له ، ولا يمكن أن يقال أين الله ؟ في العرش والسماء . . في الأرض . . الفوق والتحت بالنسبة إلى الله غلط لأن الذي بحاجة إلى المكان هو الجسم وليس خالق هذا الجسم .

قلنا إن الجسد ـ يعني المركب ـ هو المحتاج إلى المكان ، أما المجرد فلا حاجة له إلى المكان .

وقول الإمام أمير المؤمنين (ع) « أيّن الأين فلا يقال له الأين » فهو خالق المكان ولا يمكن أن ننسبه إلى مكان ، هو الخالق للسماء والأرض فلا معنى لأن يكون مكانه هناك . . خالق العرش وليس مكانه العرش .

الله لا مكان له ، والشاهد على ذلك هو روحنا ، فقطعاً إن لكل واحد منا روح . . . أين روحنا ؟ من الرأس حتى أطراف أصابع القدم في كل مكان تضع يدك وتقول هذا هو مكان الروح فهو غلط ولو قلت إنه ليس بمكان للروح فكذلك غلط وليس له معنى ، فلا يمكن أن يقال إنه مكان الروح، ولا يمكن أن يقال إنه منفصل عن الروح .

المكان غير منفصل عن الوجود أيضاً : ـ

ذلك لأن الروح موجود مجرد ومحيط بالجسم وشامل لظاهر وباطن البدن وليس محلا لشيء، وهي داخلة في الجسد فهي لا مكان لها أصلا بل هي موجود مجرد وليس لها ظل، وأيضاً لا يوجد مكان في الجسد وهو خال منها . « يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان » .

العضو الفاقد للروح مفلوج وميت :

﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ الله سبحانه وتعالى بكل شيء محيط ولكن لا معنى لأن يكون له مكان ومحل ، إذا أردتم أن يتوضح المطلب أكثر فارجعوا إلى روحكم التي ليس لها مكان . أي عضو من أعضاء جسمك من رأسك إلى قدمك إذا لم يكن له روح فهو مفلوج وميت، ومع ذلك فالروح ليست في ذلك المكان، ليس هو مكاناً للروح وليست الروح منفصلة عنه . كذلك جميع أجزاء عالم الوجود ليست مكاناً لله وليست خالية من الله .

.....

كل مكان تذهب إليه فالله موجود ، كل مكان تكون فيه فالله معك[1] وفي نفس الوقت ليس لله مكان، وتقول كيف يمكن ذلك ؟ مثال ذلك الروح بالنسبة للبدن .

---

(١) ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾ (سورة الحديد : الآية ٤) .

حقيقة النفس خافية عن الجميع : -

ومن الأوجه التي ذكروها هي أننا نتيقن من وجود النفس فقط بواسطة آثارها وعلاماتها وأفعالها، أما إدراك حقيقتها وماهيتها فهو محال ، ولا يمكن لأي أحد أن يدرك حقيقة النفس وما هي الروح الإنسانية ، لا أحد يعلم . . . لا أحد يعلم عن حقيقة نفسه لحد الآن . نعم يمكن إدراكها فقط بواسطة أفعالها في هذا البدن وفي غيره كذلك .

كذلك لا يمكن إدراك الذات الإلهية أيضاً . . أيها الإنسان الذي لم تدرك نفسك إلى الآن، ولا يمكنك أن تدركها وتفهمها، كيف تريد أن تفهم الذات الإلهية وتحيط بحقيقة الله ؟!

بل إنسك لا تعلم ولا تدرك كيفية عمل مخلوق واحد من المخلوقات الإلهية، يعني عزرائيل ملك الموت كيف يقبض الأرواح وعن أي طريق يدخل وعن أي طريق يخرج ؟!

الأرض كلها كالمائدة لعزرائيل : -

وروي عن رسول الله (ص) أنه سأل ملك الموت في ليلة المعراج: كيف تقبض أرواح الناس الذين هم في الشرق والناس الذين في الغرب بوقت واحد ، فقال: إن الله تعالى أعطاني القدرة بحيث إن الأرض بالنسبة لي كمائدة الطعام ، ففي وقت واحد أتمكن أن أقبض أرواح الموجودين فيها .

فما يقال من أن التفكر في ذات الله حرام إنما هو لأن إدراكه محال ولا نتيجة له سوى الحيرة، فليس للمخلوق الصلاحية لأن يحيط بالخالق وإنما فقط يمكنك من خلال آثار الله وفعل الله وصنع الله أن تدرك الله وليس للبشر طريق أكثر من ذلك ليتفكر في ذات الله .

وحدة الروح مثال على وحدة الخالق : ـ

نحن ندرك أن الفاعل واحد عن طريق الفعل الواحد ، كل هذه الأجهزة لها مدير واحد ، مئات وملايين مراتب الموجودات كلها ترجع إلى واحد ، كما أن الروح تعمل مئات الأعمال مع أنها واحدة . وحدة الروح مع كثرة مراتب ظهورها علامة جيدة على وحدة الخالق في عالم الوجود ، المدير والمدبر واحد « يدبر الأمر» ، جزئيات الأمور وكلياتها بيد الله ، كما أن جسدك الذي تقع جميع أجزائه تحت نظر الروح ، فمثلاً أحس بأن السن الملانية تؤلمني أو أن شوكة أصابت قدمي فيجب أن أزيلها أو أعالج تلك السن .

مع وجود مئات الأفعال فهو واحد : ـ

فكما أن مدبر الجسد مع مئات الأفعال واحد كذلك مدبر عالم الوجود مع الأفعال غير المتناهية فهو واحد . فرغم هذه الكثرة في مراتب الوجود إلا أنه « لا إله إلا الله » ، والخلاصة كما أن حقيقة النفس الإنسانية لا تدرك فكذلك الذات الإلهية أيضاً لا تدرك، أما أفعاله التي تشاهدها فهي تشهد بوجوده ووحدانيته وتقول أشهد ألا

إله إلا الله .

أنت لا ترى الله ولكنك ترى أفعاله . من مشاهدة أفعاله تفهم وحدانيته وعلمه وقدرته ، كما أنك لا ترى روحك وإنما ترى أفعالها .

أفعال الروح في الجسد : -

بعض الأفعال تؤديها الروح في البدن، والبعض الآخر تؤديها بصورة منفصلة عن البدن وبدون توسط الجسد .

الأفعال التي في هذا البدن هي النظر ، السمع ، الذوق ، الشم ، اللمس ، والتنفس ، الهضم وغيرها ، وكل هذه الأفعال إنما هي للروح ، فعندما تنفصل الروح عن الجسد لا تعمل أية واحدة من هذه الحواس ، مثل السراج عندما ينطفيء فيفهم أن النظر لم يكن راجعاً إلى هذه العين وإلا فالعين موجودة في مكانها .

الموت علامة على فعالية الروح : -

الموت بالقياس إلى اللحظة التي تسبقه كم هو شاهد على فعالية الروح ؟ أجهزة البدن موجودة فقبل ثانية واحدة كان يرى والآن لا يرى ، كان يسمع ولكن مع خروج الروح لا يسمع ، إذن يفهم من هذا أن السمع لم يكن لهذه الأذن ، النطق لم يكن للسان وإلا فاللسان قبل الموت هو نفسه بعد الموت ، النطق كان للروح .

كل الأفعال الظاهرة في هذا الجسد تشهد على الروح مع أننا لا

نـدرك حقيقتها ولا نعلم في أيـة مـرتبـة من الـوجـود ، وهي مجـردة من الجسم ولكننا نفهم من أفعالها أنها موجودة ، ووجودها عجيب ، السراج الذي كان طيلة وجوده في هذا الجسـد يفعل الأمـور الكثيرة ، وبمجرد أن ترك هذا البدن لم يعد هذا البدن يفترق عن الخشب اليابس والحجر .

الروح والفعاليات الخارجية : ـ

هـذا الـذي ذكـر هـو قسم من الأفعــال التي تصـدر من الــروح بـواسـطة البـدن ، أمـا القسـم الآخـر لأفعـال الـروح فهـو غـير مـرتبط بالجسد ودلالتـه أقوى ، وهـذا الموضـوع الذي أريـد أن أذكره مـستفـاد من حـديث عن الإمام الصـادق (ع) في الروايـة الأهليجيـة التي أثبت فيها الإمام لذلك الرجل الهندي تجرد الروح .

المـاديون يتخيلون أن الإنسـان هو هـذا اللحم والجلد مـع أنـه من الأمور المسلمة عند الإلهيين أن هذا اللحم والجلد هو آلة للروح .

أفعال الروح في حالة النوم : ـ

الإمـام (ع) يضرب عـدة أمثلة لهذا الرجل الهـندي ومن جملتهـا يقول :

ألم تشـاهـد في المنـام أنـك تضحــك أو تبكي ؟ فـأجــاب ، نعم بكثرة . فقال : ألم تشاهد أموراً مفرحة أو مخيفة؟ فقال : نعم بكثرة .

فقال : ألم تشاهد في المنام أنك تأكل طعامـاً لذيـذاً أو تشم عطوراً

طيبة ؟ فأجاب : بكثرة ، فقال له الإمام :

إذن من هو ذلك الذي يضحك ويبكي ويرى الصور الجميلة والمخيفة ويلتذ ويحزن ويأكل الأطعمة اللذيذة ؟ فلو كان هذا الجسد فهو ملقى في زاوية مغمض العين ولسانه جامد في فمه .

الاحتلام علامة أخرى : -

الرجل الهندي يسأل سؤالاً طفولياً، يقول إن هذه الأحلام التي نراها في المنام كلها سراب وخيال، وعندما نستيقظ لا نجد لما رأيناه أثراً .

لكن الإمام يجيبه : - ألم تشاهد بعض الأحيان في المنام بأنك تزوجت ؟

فقال : نعم، فقال الإمام : ألم تشاهد آثار هذا المنام على شكل احتلام بعد أن تستيقظ؟ فقال : نعم .

في ذات الإنسان كل ما يقع بواسطة هذه الأدوات في الحقيقة إن هذه الفعاليات تقع في الروح . ففي روحه سمع وبصر ونطق وأدنى الفعاليات الأخرى والتي يشاهد نماذج منها في عالم المنام أو في عالم المكاشفة .

الأحلام الصادقة وقدرة الروح العجيبة : -

الروح ترى المستقبل ، روح المؤمن ترى أموراً تقع بعد سنة من

الزمان ، يدرك في المنام . . . يعلم من هذا أن هناك روحاً وهناك مدركاً .

الحقائق التي يراها في المنام لا ربط لها بالمادة إطلاقاً ، لأن المادة ليس لها شعور ، لو وصلنا آلاف الذرات مع بعضها فلا يتحصل من ذلك شعور ، الشعور ليس للمادة . . الروح الإنسانية تفهم أشياء لا ربط لها بالمادة .

آلاف الشواهد على هذا المطلب . . . ونادر جدا من لم يفهم من عالم المنام المطالب التي تدل على تجرد النفس . وهذه الشواهد غير المتناهية وإن لم يمكن عدها ولكن .

آب دريا را اگر نتوان كشيد
هم بقدر تشنگي بايد چشيد

إذا لم يكن بالإمكان شرب ماء البحر بأجمعه فلا أقل يجب الشرب بمقدار العطش .

وسأبين رواية وقصة كنموذج على أن روح الإنسان ماوراء المادة ومن عالم آخر ومن هناك تفهم أموراً لكي يتوضح الموضوع بصورة أحسن .

المنام العجيب لنادر شاه : ـ

في كتب التواريخ نقلوا قصة عن نادر شاه افشار وقد ذكرت هذه

القصة في كتاب (مجمل التواريخ) أيضاً .

عندما كانت الليلة الأخيرة من عمر الشاه نادر ، لم يأخذه النوم فكان يخرج ويتمشى في الخارج ثم يرجع، وكان حاله وخيماً جداً في آخر عمره، ولا أحد يتجرأ على سؤاله عن السبب في عدم نومه في هذه الليلة ، باستثناء شخص واحد واسمه (حسن علي) - معين الممالك - وكان من خواصه ويحدثه بأسراره، تجرأ أن يقترب منه ويسأل: « ماذا حصل لك بحيث فارقك النوم هذه الليلة » ؟

فقال نادر : أقول لك ذلك بشرط ألا تقوله لأي أحد وإلا فسيكون مصيرك القتل . ثم قال له : الحقيقة هي أني قبل أن أصبح سلطاناً رأيت في المنام كأن حارسين أخذاني معهما بكل احترام إلى مكان كان الأئمة هناك فرأيت اثني عشر نوراً حاضرين في ذلك المكان وما أن اقتربت منهم حتى أمر من كان يظهر أنه أكبرهم بأن يأتوا بسيف. ثمّ أخذه وشدّه إلى جنبي ، وقال بأني أرسلك من أجل إصلاح إيران بشرط أن تسير مع الناس بسيرة طيبة .

غداة ذلك المنام بدأت تظهر ملامح التوفيق والصعود حتى وصلت إلى السلطة وفتحت الهند وكما تعلم أنها فتوحات عديدة وانتظمت أمور المملكة (ولكن في الأواخر كان الوضع سيئاً جداً وقد ظلم كثيراً فكم قد فقأ من العيون وكم قتل من الأبرياء) .

افتحوا السيف عن حزامه : -

وفي هذه الليلة - وبمجرد أن أخذني النوم - رأيت في المنام ذينك

الحارسين ولكن مع فرق ، وهو أنهما في المرة الأولى كانت معاملتهما لي مصحوبة باللطف والود ، والآن أخذوني معهم بالعنف والذلة إلى ذلك السيد الذي شد لي السيف ، وما أن وصلت أمامه حتى نهرني بشدة وقال : هل هكذا تكون معاملة المسلمين ؟

عند ذاك أخذوا السيف مني وطردوني بأشد الأهانات ، وأنا خائف من هذا المنام .

وفي سحر تلك الليلة قتلوه وأرسلوا جثته إلى بيته الذي بناه لنفسه .

سر شب سر قتل تاراج داشت
سحر گه نه تن سر نه سرتاج داشت

نعم أنه كان له الأمر والملك أول الليل ، فلما صار السحر لم يكن للجسد رأس ولا للرأس تاج .

المسكين فهم شيئاً من هذا المنام ، وهو أن نفس ذلك الذي رفعه هو الذي سوف ينزله . وهذا المنام يثبت لنا بصورة جيدة تجرد النفس .

النعمة والنقمة مرتبطة بعمل الأشخاص : ـ

إذا أعطيت السلطة والمال لأحد الأشخاص فليس ذلك لأنه إنسان جيد وله الأهلية لذلك . بل إن المال والجاه لأجل الامتحان ،

فعندما تعطى هذه لشخص يكون معلوماً بعد ذلك انها نعمة أو نقمة ، فإذا عدل وأحسن بوسيلة هذه الأموال والسلطان فيفهم من ذلك أنها كانت نعمة ،ولو كانت خلاف ذلك فيعلم منه أنها كانت بلاءً وليست نعمة .

وإذا رأيتم أنه نجا من الخطر فليس لأنه إنسان جيد وله صلاحية ذلك، بل إنه نجا من الخطر ليزداد إثمه ويثقل حمله ولتظهر استعداداته ويمتحن .

الذهب والقدرة من وسائل الامتحان : ـ

وكما يقول القرآن : ﴿ **ولا يحسبنّ الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين** ﴾ وذلك لسوء اختيارهم وعاقبتهم فالمال والقدرة عندما تعطي لأي فرد فذلك لأجل امتحانه ولتظهر بذلك سعادته أو شقاوته .

غرضي من هذه القصة هو أنه أي دخل لهذا اللحم والجلد في إدراك هذه الأمور ؟ وإدراك أن السلطة مربوطة بولي الأمر فإذا لم يشأ الإمام لا يكون ذلك ؟ فهذا النوع من الإدراكات مرتبط بالنفس وليس بالجسد .

علي (ع) يقطع رأس الناصبي في المنام : ـ

أنقل لكم معجزة عن علي (ع) أيضاً : القطب الراوندي ينقل

عن متحدث يقول: كنت أبتغي السفر من الموصل إلى مكة المكرمة فذهبت إلى بيت أحمد بن حمدون وهو جار لي وكان من أعيان وأشراف الموصل ومن أشد أعداء الإمام علي (ع) ولأجل حق الجار قررت أن أذهب لوداعه، فلما ذهبت إليه قلت: هل من خدمة أتمكن من أدائها. فجاء بقرآن وقال: -

- أقسم لي بهذا القرآن إنك سوف تعمل ذلك، فقلت:

- لا بأس، إذا كان بإمكاني ذلك فسوف أعمل، فقال:

- إذا ذهبت إلى مسجد النبي (ص) ووقفت عند قبر الرسول (ص) فقل:

- هل قلّت الرجال وأصاب الأزواج قحط حتى تركت الجميع وزوجت فاطمة لعلي الذي كان أنزع وبطيناً و... فلماذا صنعت ذلك؟

يقول هذا المتحدث بأني نسيت هذه الوصية حتى كان اليوم الأخير وفجأة تذكرت ذلك في مسجد النبي (ص) وقلت: يا رسول الله أنا خجل منك ولكنه اقسم عليّ أن أقول لك ذلك.

وفي الليل رأى علياً (ع) في المنام وأخذه الإمام معه إلى الموصل وأدخله إلى بيت أحمد بن حمدون، وكان أحمد نائماً فأزاح الإمام عنه الغطاء وذبحه من رقبته بسكين كانت في يده، وأزال رأسه النجس عن جسده، ثم مسح السكين الملوثة بالدم بذلك اللحاف فبقي من ذلك أثر على اللحاف بشكل خطين أحمرين من الدم علامة على ذلك، ثم أنه

رفع السقف بيده المباركة ووضع السكين في أحد زوايا الحائط .

ثم قال : إني انتبهت من ذلك المنام المخيف وأخبرت رفاقي بأني رأيت مناماً مخيفاً بهذا الشكل وأثبت تاريخ ذلك أيضاً .

ـ وعندما وصل إلى الموصل استطلع الخبر فقيل : ـ

ـ نعم في الليلة الفلانية وقع حادث القتل ، ولكن لم يعلم من هو القاتل لحد الآن ، ولم يكن سارقاً وإلا فالمفروض أن يسرق بعض الأشياء ، لكن كل شيء كان في مكانه الطبيعي وهذا الذي حير الجميع ولذلك فإن حكومة الموصل سجنت جميع الجيران للتحقيق معهم والعثور على القاتل الذي لم يعرفوه لحد الآن .

فقال لرفاقه في السفر لنذهب إلى هذا الحاكم وننقذ هؤلاء المساكين من السجن .

فلما وصلوا إلى الحاكم قال له : إن جميع أصحابي يشهدون على أني رأيت مناماً بهذه الصورة وقد سجلت تاريخه أيضاً وليس قاتل هذا الشخص سوى أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (ع) .

وهناك علامتان لذلك إحداهما هي أثر السكين على اللحاف في مكانين ملوثين بالدم والأخرى هي أن السكين موجودة في القسم الفلاني من السقف .

ويأتي نفس الحاكم ويتحقق من صحة هاتين العلامتين ويطلق سراح جميع المسجونين ، والبعض منهم يصيرون شيعة ويرجع جميع

أقربائه عن الناصبية ويصبحون من الموالين لعلي (ع) .

ما هي المادة العديمة الشعور وما هو الإدراك المجرد ؟

وأخيراً فالأمور التي يراها الإنسان في المنام وتتحقق بعد ذلك راجعة إلى الروح ولا ربط للجسد واللحم بهذه الإدراكات فالمادة العديمة الشعور كيف تدرك المستقبل وتفهمه ؟

المرحوم الحاج نوري ألف كتاباً في الأحلام الصادقة والتي تتحقق وتقع في الخارج، وواقعاً يتعجب الإنسان من كيفية هذا الجهاز العجيب الذي يحصل على أخبار الملك والملكوت ويستطيع إدراك الجزئي والكلي .

احصل على ذاتك : ـ

النتيجة التي نستفيدها من أبحاث الأيام السابقة هي أنه يجب علينا أن نفكر بأنفسنا أن نحصل على ذواتنا .

هناك كلمة تجري على لسان العوام ولكنها تحوي معنى عميقاً « اهتم بنفسك » ولكن لا يدركون معناها ويتصورون بأن المعنى « اهتم ببدنك » فهل أنت حيوان ؟!

اهتم بنفسك يعني اهتم بذات وحقيقة نفسك وإلا فأنت لست هذا الجسد ، أحصل على نفسك حتى تجد لك طريقاً عند أولياء الله

غداً، وإلا فمهما كـان لجسدك من بريق ولمعان وبقيت نفسـك قبيحة . . فما الفائدة ؟!

احصل على الهيئة الملكوتية : ـ

مـاذا يجب أن يكون لـدى المرأة التي تـريد أن تـذهب عند فـاطمة الـزهراء ، الـزهراء تنـظر إلى البـاطن ، لعله يكـون في بعض الأحيـان حيواناً متوحشاً . البعض يكون له أقبح صورة عنـد خروجـه من البدن وأنتن رائحـة . آلاف عمليـات التجميـل ومئـات العـطور . . فـما الفائدة ؟!

ويروى أنه بعض الأحيان تصدر منه كذبة فتخرج من فمـه رائحة كريهة تصل إلى العرش وتؤذي الملائكة فيلعنونه بأجمعهم .

هـذه الـرائحة الكـريهـة تخـرج من ذاتـه بـالـرغم من أن جسمـه معطر .

« يـا من أظهـر الجميـل وستر القبيح . . . أسـألـك يـا الله أن لا تشوه خلقي بالنار » .

لا يكن لباسنا من النار : ـ

تعـال وتدارك ذلـك الجمال الحقيقي ، الجمـال الذي أصله محمـد (ص) ، الشمس والقمر موجـودان في الدنيا، أما في الحشر فـلا شمس

ولا قمر . . لا نور يضيء إلا بجمال محمد (ص) وكل من أصبح محمدياً ، هناك جمال الروح لا البدن . . . لا تظلم نفسك إلى هذا الحد ولا تكن غافلاً عن روحك .

هذه الوسائل كلها من أجل راحة الجسد ! اعمل لقبرك أيضاً . . الروح هي التي تريد الرزق في عالم البرزخ وليس البدن . . تريد لباساً ، والويل إذا كان لباسك من نار[1] .

لو ترى كيف أن النار تحيط بالظالمين . . النار تخرج من الظالم وتحيط به .

لا تقعدكم الملهيات عن ذكر الله :ـ

ألا يجب على الإنسان أن يهتم بنفسه ؟؟ . . هذا التأكيد في القرآن بأنه لا تلهكم الأموال والأولاد عن ذكر الله . . أيها الأغنياء أيها الرؤساء . . لا تنخدعوا بالمال والرئاسة . .

كم صنعوا لكم من الملهيات حتى لا تهتموا بأنفسكم . . . القرآن يقول كفى اللعب واللهو . . ﴿ **ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر** ﴾ . لا يغرنكم الشيطان فتتركوا إصلاح أنفسكم . أهتم بنفسك ، يعني بروحك لا ببدنك .

---

(١) ﴿ سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ (سورة إبراهيم ، الآية ٥٠) .

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ .[1]

صدق الله العلي العظيم

* * *

(١) سورة الحشر ، الآيتان ١٩ ـ ٢٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾[1] .

صدق الله العلي العظيم

النفس المطمئنة مرضية عند الله : ـ

الواقع أن على أهل الإيمان وأهل القرآن أن يفهموا تلك المقامات المذكورة في القرآن والوعود التي أعطيت ويدركوها، فما أكثر الذين

---

(١) سورة الفجر الآيات : ٢٧ ـ ٣٠ .

أصابهم الغرور لعدم عملهم ببعض الحقائق، ولم يصلوا إلى ما هو المطلوب .

من جملة تلك الأمور مقام النفس المطمئنة، التي بينها الله تعالى في آخر سورة الفجر وعدّها من مراتب الإيمان، ووعد بصراحة صاحب النفس المطمئنة بأن يصله نداء الرحمن الإلهي في ساعة الموت بأن ارجع إلى ربك راضياً مرضياً وادخل الجنة بدون أي قيود .

المشقة الآن سبب الراحة غداً : ـ

من ساعة الموت وحتى الوصول إلى الجنة والسعادة . قد يكون دعاؤنا في بعض الأحيان « إلهي اجعل موتنا بداية لسعادتنا وراحتنا » البعض يتصور أن هذا الدعاء من باب الأدب والمجاملة ، كلا إنه الحقيقة « فالذي لا يتعب لا يحصل على الكنز » .

القرآن المجيد يؤكد على أن الوصول إلى المقامات العالية ومن جملتها الراحة عند الموت ناتج من السعي والعمل الجاد لنفس الإنسان[1] .

القرآن المجيد يوضح هذا المعنى في بيانات متعددة وفي آيات مختلفة ومنها : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[2] فما كسبت من

(١) ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ﴾ (سورة النجم آية ٣٩ ـ ٤٠) .
(٢) البقرة : آية ٢٨٦ .

اعمال خيرة ستكون نافعةً لها ، وما كسبت من أعمال قبيحة ستكون بضررها .

فالمسألة هو مقدار سعيك وتحملك المشقة في طريق العبودية لله . . والذي لم يصل إلى النفس المطمئنة لا يكون موته أول راحته .

إلى جوار أهل البيت والجنة الخاصة : ـ

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك . . فادخلي في عبادي . . ﴾ ادخلي مع خاصة عبادي وفي جوار محمد وآل محمد فأهل البيت هم عباد الله المقربون . . فالذي يتصل في ساعة الموت بالأرواح العالية هو الشخص الذي كانت النفس المطمئنة من نصيبه وقد وصل إلى مقام الاطمئنان بحيث يدخل بعد الموت مباشرة إلى جوار أهل البيت بدون رادع وحاجب، ويدخل جنة الله الخاصة ﴿وادخلي جنتي ﴾ ولا يكون ذلك بدون نفس مطمئنة .

قل الغرور وزاد العمل : ـ

عمل الآخرة مهم ، ولا يمكن بدون جهد وتعب . . ولا يتحقق بدون استعداد وقابلية . ورغم أنه سبق أن ذكرنا توضيحاً عن النفس المطمئنة . . لكن مع ذلك ينبغي التفصيل أكثر ليقل الغرور الذي يحيط بنا ، ولأن الإنسان جهول فسوف ينخدع ويكون مغروراً . فالغرض من هذه البيانات هو أولاً : ـ أن يقل غرورنا بمقدار .

وثانياً : ـ أن نسعى لكي نتوب أكثر ونصل إلىٰ النفس المطمئنة .

النفوس على أقسام ثلاثة : ـ

البشر بصورة كلية على ثلاثة أقسام :

فإما أن يكون غارقاً في الكفر وحب الدنيا ومستقراً في أهواء النفس .

أو غارقاً في العبودية وثابتاً في مقام الخضوع بدون أي تزلزل وتوقف في سيره إلى الأمام .

أو متوسطاً، يعني تارة لهذه الجهة وأخرى لتلك الجهة ، فتارة عبد الرحمن وأخرى عبد الهوى والشيطان ، في المسجد يكون عبد الرحمن تقريباً ، ويرجع عبداً للشيطان في السوق والبيت ، فهو مذبذب بين الكفر والإيمان .

يستمع إلى الموعظة ويتأثر ويندم على أفعاله وماضيه ، ولكن الغفلة تصرعه مرة أخرى وتزل قدمه عن صراط العبودية والرق . . . فهو ليس بمطمئن أو ثابت .

هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرتها تستفاد أيضاً من القرآن المجيد .

أما القسم الأول وهو المستقر في الكفر يعني أنه مندمج مع النفس الأمارة بصورة كاملة فهو على مراتب متعددة حتى يصل إلى الغرق في الظلمات التامة ولا يبقى له نور أصلاً .

النفس الأمارة في الحقيقة كافرة بالله : -

هي وقحة إلى درجة يصل بها الأمر إلى إثبات نفسها وإنكار الله . . أيتها النفس ، أنت موجودة أما خالقك غير موجود ؟!

تقول أن الإله الذي لا أراه بالعين كيف أصدق به ؟!

هل ترى نفسك بالعين حتى تصدق بوجودها ولا تصدق بوجود خالقها ؟! كل هذا بواسطة اتباع النفس الأمارة العجيبة الكفر .

يكفي في دناءة النفس أنها ترى لنفسها الاستقلال الكامل ، فلا تصدق أنها لا تملك شيئاً من ذاتها ، بل على العكس فهي ترى أن كل شيء منها : قدرتي . . كمالي . . علمي . . ولها من الـ (أنا ، أنا) حتى يصل بها الأمر إلى إنكار الخالق ، ولا تصدق إلا هذه الحياة الدنيا .

القرآن المجيد يحدثنا عن هذا القبيل من الأشخاص بقوله : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ يجب تأمين الحياة في هذه الدنيا وترتيب أوضاعها .

فقط يفكر بالحصول على الماديات : -

هدفه من الحياة إصلاح وضعية دنياه فقط ، لم يفكر لحظة بأنه عبد ، وله خالق قيوم ، بل أنه في شك من أمر مبدئه ومعاده . فرغم

أنه لا يشك في قوته الحافظة والواهمة مع أنه لا يـراهما ولكنـه على يقـين من أنه يمتلك شعوراً ، وله حافظة ولكن أين شعورك وحافظتك ؟

لأنك لا تراهما بالعين الحيوانية فلا يوجدان عندك ؟

أنت ترى وتسمع أما إلهك . . ؟

من أوضـح الأمـور وجـود رب العـالمين . . وعجيب أنت تـرى ، ولكن إلهك لا يرى ؟ عينـك ترى . . . وخـالق العـين لا يـرى ؟ هـل أنت الـذي صنعت عينك ؟ كـلا . . فـذلـك الـذي خلق هـذا الجهـاز محيط بك ويرى بدون واسطة .

أنت تسمعين أيتها النفس عن طـريق الأذن ، فخالق الأذن يسمع أحسن منـك[1] هذا المعنى نجـده في سورة تبـارك بـألـطف بيـان ﴿ ألا يعلم من خلق ؟ ﴾ ولكن النفس الأمارة لا تسمح بتصديق ذلك .

النفس الأمارة في صراع مع العبودية : ـ

عمـل النفس الأمـارة هـو أن تسحق الحق ، وتـدعي الاستقـلال لنفسها ، ولا صلح لها مع العبودية .

هذه النفس الأمارة لها مراتب أيضاً فالبعض هم (٢٤) سـاعة عـلى هـذه الحالـة وفي طـول العمـر ، والآخـر في بعض الأوقـات عـلى هـذه

---

(١) ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ ـ ﴿ سميع عليم ﴾ .

الشاكلة .

وتنمو نفسه الأمارة وترى لنفسها كياناً وتشخصاً وليس فيها خبر من العبودية .

هذا المعنى موجود في الجميع مع زيادة ونقصان فلا ينبغي أن نغفل هذه الحقيقة .

نفس ازدرها است اوكسي مرده است
ازغم بي آلتي افسرده است

البعض يرى لنفسه الربوبية على تلامذته وخدمه ومن يكون تحت يده فيتصور الاستقلال . فلأنه تلميذي فيجب عليه تعظيمي . . . ولأنه خادمي أو خادمتي فعليه أن يكون خاضعاً لي يدعي الاستقلال والربوبية ويصدر منه ما يتنافى مع العبودية .

يتأثر بالموعظة : -

بعض الأحيان تحصل فيه حالة العبودية بسبب التذكر والموعظة ، ويلتفت إلى أن وجوده ووجود الجميع مرتبط بالله ، فأنت والناس الآخرون سواسية ومحتاجون إلى الله .

ولأنه لم تستقر فيه عبودية الدنيا فإنه يتأثر بالموعظة والنصيحة . . إلهي لقد كنت كافراً والآن أجدد العهد « آمنت بالله » إلهي إنني آمنت بك ولا أدعي الاستقلال بعد الآن، بل إني عبد ضعيف وعاجز لا

يملك لنفسه شيئاً .

وقد يأخذه الكبرياء في بعض الأوقات ، وقبل ساعة كان يدعي العبودية والتوجه إلى عالم الروح ولكنه رجع إلى كفره الأول ، وهذا المعنى يظهر بصورة أكثر في حالة الغضب ، فعندما يتشاجر مع شخص آخر فلو نظرت إلى باطنه رأيت الكفر بالله وليس له أية حالة من العبودية .

الغلام الذي قتل طفل الإمام السجاد (ع) : ـ

سمعت في أحوال زين العابدين (ع) أنه حضر عنده بعض الضيوف وكانوا قد جعلوا قطع اللحم في أسياخ ووضعوها في التنور لطبخها . . فذهب غلام وأخرج الأسياخ ، وكان طفل صغير للإمام يسير في طريقه إذ وقعت الأسياخ الساخنة من الأعلى على رأسه من يد الغلام فمات لساعته .

الغلام استعمل ذكاءه وقرأ آية من القرآن ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ فأجابه الإمام كظمت غيظي :

فقال : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ ، قال : عفوت عنك .

فقال : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ .

فأجابه الإمام : أنت حر لوجه الله .

فالذي لم يتثبت في عبودية الله فما الذي يقوله عند الغضب ، وما

الذي يفعله . . . فمع أدنى انحراف وميل سيخرج بذلك عن عبودية الحق .

وينقل أيضاً عن الإمام زين العابدين (ع) الذي هو بحق زينة العباد، ونتحدث عن عبادته واستمراره في العبودية .

أعتق العبد بعد تنبيهه : -

ورد في المجالس السنية وكشف الغمة وغيرها وكذلك ذكر في منتهى الآمال بأنّ أحد غلمان الإمام ارتكب جرماً يستحق التنبيه عليه ، فأخذ الإمام سوطاً وضربه به ضربة واحدة ثم عطف السوط فوراً إلى الغلام وقال له إذا أردت الأقتصاص فخذ، فأنا ما ضربتك إلا تأديباً .

فلما رأى الغلام ذلك اعتذر وهو يقول :

قطعت يداي إن أنا فعلت ذلك .

الإمام أيضاً أعطاه مقداراً من الأموال لا أتذكرها بالضبط ولعلها كانت خمسين ديناراً وقال له أنت حر .

لنحذر الخروج من العبودية في حالة الغضب : -

على كل حال يجب الانتباه لئلا نخرج عن صراط العبودية في حال الغضب ، فقبل هذا الحال كان يقول ﴿ إياك نعبد وإياك

نستعين ﴾ إلهي أنا لا أعبد سواك ولا أطلب العون إلا منك . فماذا حصل الآن كي تقول إذا أنا لم أكن فسيكون كذا وكذا ، ألست أنت الذي كنت تدعي العبودية لله قبل قليل .

كم هو لطيف قول السيد بحر العلوم في منظومته الفقهية .

إيـاك مـن قـول بـه تـفـنـد	وأنـت غير الله كـنـت تـعـبـد
تـلـهـج في إيـاك نـسـتـعـين	وأنـت غـير الله تـسـتـعـين

فتقول بلسان ﴿ إياك نستعين ﴾ ولكنك تقول بعملك أنا او آخر .

ما لم يصل إلى حد الأطمئنان فهو مذبذب : -

مقصودي هو الثبات ، فما لم يصل بالنفس إلى الاطمئنان والثبات فهو مذبذب في هذه الأوساط ، يصير إلى هذا الطرف أو ذاك ، متزلزل ، فتارة يتوجه إلى الله وأخرى إلى الشهوات واللذات إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة ، بحيث لا يرى لنفسه أي استقلال وألوهية أو ربوبية ولا لحظة واحدة ويدرك أنه مربوط بالله .

ونقرأ أيضاً في دعاء كميل « يا من بيده ناصيتي » يا الله الذي بيده حياتي . . روحي وبقائي بيده . . . أنا لا أتمكن أن أقف على اقدامي . . النفس الذي يدخل ويخرج تنفسه ليس بيدي .

رسول الله (ص) يقول : عندما أغمض عيني فإني لا أؤمل

فتحها ، إلى هذه الدرجة لست مستقلاً . . فأنا عبد . . مخلوق ، وليس لي أي وجود مستقل لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ولا في أية جهة من الجهات .

واللازم لذلك ألا يصدر منه ما يخالف العبودية : -

علينا أن نقتدي بالعباد الحقيقيين وهم المعصومون (ع) ونتعلم طريق وأسلوب العبودية إلى أن نصل إلى النفس المطمئنة .

انزعاج الإمام من أجل خوف أمة : -

يروى في كتاب المجالس السنية عن مالك بن أنس رئيس مذهب المالكية : أنه كنت يوماً في أزقة المدينة فرأيت الإمام الصادق (ع) وهو مهموم ، فكان واضحاً ان أمراً قد سلب راحته ، فسألت عن أحواله : يا بن رسول الله ما الذي أهمك وسلب راحتك .

فقال : في بيتنا غرفة وسلّم للصعود إليها ، وقد أوصيت في منزلي بأن لا يصعد عليه أحد ، ولما دخلت المنزل رأيت الجارية معها طفلها وهي تصعد السلّم ، فلما رآتني خافت وسقط الطفل من يدها . وإنني لم يؤذني موت الطفل إنّما آذاني خوف الجارية مني .

يجب أن تخاف من الله لا من المخلوق . . يعني يجب أن تراقب الله مع عدم وجود الإمام أكثر ، فما نهى عنه الإمام يجب تركه ، كيف تلاحظ حضور الإمام أكثر من حضور الحق ؟! الإمام أيضاً يتألم لذلك

لماذا تخافين مني أكثر من الله وترجفين مني ؟ فأنا عبد !!

يجب أن يكون أشد التذلل لله : ـ

هناك رواية شريفة بأن شخصاً دخل على الإمام الصادق (ع) فسلم عليه بكامل الاحترام والأدب ثم قبل رأس الإمام، بعد ذلك قبله من جبهته . بعد ذلك قبل يد الإمام ثم أطراف ثوبه، بعد ذلك هوى على أقدام الإمام ليقبلها أيضاً، عند ذاك صاح به الإمام :

« ماذا أبقيت لله » ؟ . .

يعني ما هذا الذي تفعله ؟ تريد أن تقبل قدمي ؟ جعفر عبد أيضاً فماذا تفعل لله ؟ يعني أن هذا المقدار من التذلل لا ينبغي أن يكون لغير الله .

النفس المطمئنة الكاملة والدائمة عند الإمام : ـ

الغرض . . أن العبودية الكاملة التي لا تعرضها الغفلة أبداً ، مرتبتها العليا عند المعصوم ، تلك النفس المطمئنة التي لا ترجع إلى الأمارة لحظة واحدة . فعدم كونه عبداً للنفس أو الهوى أو الدنيا إنما يكون في الحقيقة لأنه لا يرى نفسه مستقلاً لحظة واحدة . إنه لا يعرف رؤية ذاته وعدم رؤية الله ، هذه الحقيقة راجعة إلى المعصوم .

إنه لا يرى نفسه مستحقاً للطاعة ، ويقول عليهم أن يعظموني ؟

لا . . لأن هذه الحالة هي الكفر الحقيقي الذي يجب أن يستغفر منه ويرجع إلى العبودية من جديد .

أطفئوا النيران التي أوقدتموها : ـ

السيد بن طاووس ينقل رواية في كتاب فلاح السائلين أن ملكاً ينادي في أوقات الصلوات الخمس : قوموا إلى الصلاة أيها الضيوف وأطفئوا النيران التي أوقدتموها .

وينادي في وقت الظهر ، يا من أوقدتم لأنفسكم النيران من أول اليوم إلى الآن هلموا وأطفئوها ببركة الصلاة . أطفئوا تلك النيران التي هي الكفر الحقيقي والخروج عن عبودية الله ، وقل إني عبد محتاج من رأسي إلى قدمي : لا تصدر منك هذه الأنانيات أنا ، أنا ، يجب أن أكون كذا وكذا ، قل الله وليس أنا ، إلى متى ترى لنفسك استقلالاً وتبرز نفسك ، تعال وقلل من هذه الأنانيات وأطفئ تلك النيران التي أشعلتها .

الصلاة علاج لأشد الأمراض وهي الغفلة : ـ

واقعاً إذا لم تكن هذه الصلوات الخمس فالإنسان ليس له طريق إلى الإيمان الحقيقي وستقضي عليه الغفلة بصورة نهائية . أما والحمد لله أن أرانا طريق الخلاص والفرج ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾[1] .

---

(١) سورة طه الآية : ١٤ .

ويروى عن رسول الله (ص) مثال لهذه الصلوات الخمس، فلو أن رجلاً كان يغسل جسمه خمس مرات في اليوم فسيبقى نظيفاً باستمرار فهذه الصلوات الخمس كذلك. يعني ما تراه لنفسك من الاستقلال والخوض في الغفلة تعال وقل مع توجه كامل، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فأنا عبد محتاج ومع ذلك فإني وحيد ومحتاج إلى واحد فقط وهو الله لا غير. كنت غافلاً قبل ساعة وأدعي كياناً لنفسي وأقول أنا وأنا.. إلهي أستغفرك وأتوب إليك. أستغفر الله على كل ما ادعيته من الألوهية فإني أعبدك وأنا عبد لك.

النفس اللوامة، أن تحاسب نفسك :-

إذا أراد الشخص الهداية واقعاً والسير في الطريق المستقيم وأن يكون من أهل الاستقامة بعون الله فيجب أن يسارع إلى التوبة كما أمر بذلك القرآن المجيد، أن يستغفر في الأسحار من هذا الكذب، وقل لنفسك: أيتها الكذابة أنت تقولين أنا عبد الله، فهل هذه الحالة التي كانت قبل ساعة هي معنى العبودية ؟!

ويقال لهذه النفس اللوامة... يعني في البداية على الإنسان أن يلوم نفسه ويفهم نواقصه ويحاول إصلاحها حتى يصل إلى النفس المطمئنة. النفس اللوامة يعني الخوض في أعماق النفس والبحث عن عيوبها ولوم النفس عليها ومحاسبتها.

همه عيب خلق ديدن نه مروت است ومردي
نظري بخويشتن كن كه همه كنساه داري

التر جمة : ـ

أن ترى عيوب جميع الناس فذلك ليس برجولية أو مروءة . . وانظر إلى نفسك التي تحوي جميع العيوب .

وقل لنفسك أيتها الكذابة لماذا تخادعيني إلى هذا الحد ؟

رحم الله الحاج الشيخ عباس القمي ما أنفسع كتابه (منتهى الآمال) وأكثر جاذبيته حين كتب باللغة الفارسية عن حالات المعصومين الأربعة عشر، فما أجمل ما كتبه، ويجب على المؤمنين الاستفادة منه .

وهو يذكر في عدة صفحات عن حالات الإمام زين العابدين (ع) واستغاثته وخطابه مع نفسه فما أجمل العبارات التي كان الإمام يلوم فيها نفسه .

لوامية النفس مقدمة لاطمئنانها : ـ

مقصودي أنه يجب إيجاد النفس اللوامة حتى يصل إلى النفس المطمئنة لا أقل أن يفهم أنه قد انحرف عن جادة العبودية . . . وفي كل ساعة يكون باطنه الملكوتي بشكل من الأشكال، فتارة يكون قرداً

واخرى دبآ ، . . عمل القرد هـو التقليد من أجـل أن الشخص الفلاني قد عمل العمل الفلاني . فخاطب نفسك وذكرها بعيـوبها فلعلهـا تصل بالتدريج إلى النفس المطمئنة : أين أنا وأمثالي وأين النفس المطمئنة ؟ ولطف الله لا يشمـل إلا من كـان تـوجهـه واحـداً ويبقى مستمـراً في طريق العبودية لله . حينئذ يصبح عبداً لله . . يصير عبداً للرحمن .

ولا أقـل من إيجـاد النفس اللوامـة الآن ، لكي نـرى عيـوبنـا في طريق عبودية الله ، ثم نتضرع ونستعد للمقامات الأخرى .

لماذا تستولي علينا الغفلة : ـ

هنـا أذكر بعض الفقـرات من دعاء (أبـو حمزة) لـلإمـام السجـاد (ع) بمناسبة النفس اللوامة : ـ

« سيـدي مالي كلما قلت قـد صلحت سـريـرتي وقـرب من مجـالس التـوابـين مجلسي عـرضت لي بلية أزالت قـدمي وحـالت بيني وبـين خدمتك سيدي » .

لعلك عن بابك طردتني : ـ

ما أجل كلمات الإمام قبـل هذا الكـلام وبعده ، يقـول : عندمـا أنـوي القيام لمنـاجاتـك في أوقات السحـر « ألقيت علي نعـاسـاً إذا أنـا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت » .

«سيدي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني » .

التفتوا إلى الجملة التي أقصدها وهي :

« أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني » . فقد رأيتني أكذب ففي الصلاة أقول ﴿ إياك نعبد ﴾ ولكني أرجع إلى عبودية النفس والهوى والشيطان . . أقول أنا عبد ولكن أدعي لنفسي الربوبية والاستقلال فأنا كذاب : أقول ﴿ إياك نستعين ﴾ أما قلبي فمشغوف بالأمور المادية وليس بالله .

لا تكلنا إلى أنفسنا : -

ولكن « فإن عفوت فخير راحم ، وإن عذبت فغير ظالم » .

فأنا بهذه المفاسد إذا عفوت عني وسامحتني وطهرتني فذلك شأنك وعملك لأنك أرحم الراحمين ، وإن عذبتني وتركتني إلى نفسي فلم تظلمني لأني مستحق لذلك بسبب أكاذيبي ، إلهي بحق محمد وآل محمد أفهمنا عيوبنا . وارزقنا نفساً لوامة ، وأعطنا حالة التوبة والإنابة في كل وقت ولا تحرمنا من لطفك .

« لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً » .

« يا سيدي إنك إن وكلتني إلى نفسي هلكت » .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

الرضا من آثار اطمئنان النفس : -

كان الحديث في شرح هذه المنزلة العظيمة من منازل الإيمان ودرجات أهل التوحيد ، والتي هي آخر المقامات والمراتب الانسانية والغرض هو الوصول إلى هذه المنزلة حتى تتمكن من الوصول إلى مقام الرجوع إلى الرب ﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ وهذه هي مرتبة الأطمئنان التي من آثارها وخصوصياتها مرتبة الرضا والتسليم .

النفس المطمئنة يعني التي في مرتبة الإيمان لا تزال تستمر في صراط العبودية حتى تصل إلى حد الاطمئنان والاستقرار . . .

الاطمئنان الذي يقابل الاضطراب . . المضاد للقلق والخوف .

الاطمئنان بالله يزيل الاضطراب : -

النفس الانسانية عندما تتخيل لنفسها وللماديات استقلالاً في البداية تتصور نفسها أنها هي المالكة . (وفي الحقيقة ليس لنفسه إلا القلق والاضطراب) حتى يصل إلى المرتبة التي يتيقن بأن المالك هو الله فقط ، المستقل هو الله فقط ، فهو وجميع مراتب الوجود مرتبطان به ، فإذا استقر على هذا الرأي واطمأن إليه عندئذ لا خوف ولا حزن عليه لأنه قد أصبح من أولياء الله[1] .

القرآن المجيد يقول : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . .[2] أن يسير في طريق التقوى سنين . . أن يستمر في صراط التقوى وصراط العبودية . . أن يكون في طريق التفكر والتدبر في عالم التوحيد الإلهي حتى يصل إلى منزلة الاطمئنان حيث لا يوجد فيها أي خوف أو اضطراب .

قلق الناس بسبب الكفر الحقيقي : -

أنتم ترون في هذا الزمان أن جميع الناس من مسلمين ويهود ونصارى وماديين كلهم في قلق وخوف . . هذا الشيء يكتبونه في

---

(١) ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . يونس الآية : ٦٢ .
(٢) يونس الآية : ٦٣ .

الجرائد، ونحن أيضاً شاهدون على ذلك بأن حياتنا مليئة بالقلق والخوف . .

لا يوجد هدوء نفسي ، الأشخاص كلهم في قلق وخوف، فمن رئيس الجمهورية وحتى أدنى شخص ، ومن ذلك المليونير أو الملياردير حتى الإنسان المتسول ، لأنهم ليسوا على صراط التوحيد، وبالنتيجة فهو يرى الأستقلالية لنفسه وللماديات ، والخوف والحزن يرجع إلى الماديات ، فإذا خسر أحد الأشياء المادية فسوف يكون محزوناً .

مثلا لو افترضنا أنه يتصور ان الأموال والأولاد والجاه هي المؤثرة وهي التي ترفع احتياجاته . فلو أنها خرجت من يده فسوف يتأثر بشدة ويأخذه القلق والأضطراب، لأنه يرى أن هذه الماديات هي المؤثرة بصورة مستقلة ، وهي التي تقوم بالأعمال . . فهو يسير وراءها ولا يقنع منها بأي حد ، حتى المليون لا يكفي لسد حاجته ومهما وصلت إليه أملاكه وجاهه وشهرته ومئات محلاته التجارية فلا يزال مضطرباً ، لأنه لا يأمل أن تكفي هذه أيضاً لسد احتياجاته ، فالماديات هي كل همّه ، ما حصل عليه وما لم يحصل ، أما المؤمن فهو خائف وحزين حتى يصل إلى مقام الولاية الإلهية ويضع قدمه في صراط التوحيد في ذلك الوقت ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ فلا خوف ولا حزن عليه لأنه معتمد على المبدأ اللامتناهي .

اترك الـ « أنا » جانباً : ـ

فلهذا على الإنسان أن يخاف من حالة العصيان هذه ويرتجف ،

عليه أن يتوب من هذا الكفر الذي ارتكبه ويرتكبه . . أن يفكر من أنا ؟؟ أن يعرف نفسه أولاً ، اترك « أنا » جانباً فأنت عبد مملوك ﴿ ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ لا يملك لنفسه شيئاً .

فما دمت لم تدرك هذا المعنى فأنت غير تائب من الكفر ، يجب أن تتوب من هذا الكفر والشرك، واعلم أن لك مالكا وقيوماً ، فوجودك ليس منك بل مرتبط بغيبك ، كل ذرات الوجود مرتبطة بالغيب ، وأنت أيضاً أحد أجزاء الوجود .

الجميع مال الله وملكه : ـ

يجب أن تكون على يقين بأنك وكل شيء ملك لله ، وأنا متحير من نفسي أقول وا أسفاه بأن الله تعالى قد أسمعنا هذه الحقيقة في القرآن المجيد عدة مرات ولكن أين كنت أنا المسكين لكي أستمع لذلك؟ ﴿ له ملك السموات والأرض ـ لله ما في السموات وما في الأرض . . ﴾ .

الإيمان

أنت وحياتك والآخرون من الفرش إلى العرش . . كل ذرات هذا العالم ملك لواحد . . . ولا أحد يملك استقلالاً بنفسه ، لا أحد يقف على قدميه ، تنفسه ليس باختياره ، لا أحد يتمكن أن يعمل عملاً بالاستقلال ، ولا أثر لأي سبب من الأسباب قبل مشيئة الله .

الأموال لا تؤدي عملاً : ـ

أيها المسكين . . يا من تتصور أن الملك والمال والجاه والمقام تسد

الحاجة ، ألا ترى كم من أصحاب المليارات لم تنفعهم أموالهم ؟ وإنما مرضوا وماتوا ، ولم تتمكن أن تدفع عنهم الموت أو تدفع عنهم المرض ؟ لكي يدرك الآخرون أن الأموال لا تعمل شيئاً إلا أن يشاء الله .

السلطان الذي مات من الجوع : -

يروى في كتاب المستطرف حكاية : أنه عندما وجدوا صندوقاً أثناء الحفريات إلى جانب النيل ، فتحوا ذلك الصندوق فوجدوا فيه جسداً محنطاً، فعلموا أنه ملكة من الملكات، وقد كان المصريون في السابق يحنطون أجساد الفراعنة والملوك ويحفظونها .

وكان في هذا الصندوق مجوهرات كثيرة مع لوح وقد كتبوا فيه قصة موت هذه الملكة بناءً على وصيتها، وقد كتب على اللوح: بأنه كل من رأى جنازتي بعد موتي فليعلم بأنه حدث قحط في مملكتي في أيام حكومتي، وقد وصل الأمر إلى أني الملكة كنت مستعدة أن أعطي كل هذه المجوهرات مقابل رغيف خبز، ولم أحصل على ذلك حتى مت جوعا .

لكي يعتبر الآخرون بأن المال لا يرفع نقصاً ولا يسد حاجة لوحده وإنما بمشيئة الله . كذلك القدرة ، فلا تتصوروا أن أحداً يمكنه أن يعمل عملاً بصورة مستقلة ، افتح عينك ولا تغرك هذه المظاهر .

إذا لم يرد إلهك أمراً فلو جمعت كل الوسائل فإنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً .

الحجاج يموت وسط النيران من شدة البرد : ـ

قيل إن الحجاج اللعين أصابه الارتعاش قبل موته، وقد وضعوا عليه أغطية متعددة وقربوا منه ناراً شديدة إلى حد أن جلده كان يتأثر بحرارة النار، لكنه مع ذلك كان يرتجف ويقول (إنني في ضيق من شدة البرد)وبقي هكذا حتى مات بهذا المرض

حتى يكون ما أراد الله . . فإذا أراد الله أن يموت من شدة البرد ، فلو أنهم جاءوا بالنار واللحاف والسجاد فسوف لا تؤثر أي أثر إلى أن يقرر خالق هذه الأسباب ما يريد .

التمرن على التوحيد حتى الوصول إلى اطمئنان النفس : ـ

قصدي أن عليه أن يتوب من الشرك والكفر ليأتي إلى صراط التوحيد ، وطبيعي أن يكون كسلاناً وعليلاً لمدة من الزمن،فعندما يكون موجوداً عند المنبر يستمع إلى الموعظة يقول: استغفر الله ، إلهي إن حالتي كانت سيئة فقد كنت أعتقد غيرك مؤثراً . ولكن عندما يرجع إلى البيت والسوق يتغير وضعه . . فالكفر إلى جانب الأيمان ، فتارة هذا وتارة ذاك ، حتى يصل إلى الاستقرار إذا أراد الله وأعانه على ذلك .

يجب أن يرى نفسه والأسباب المادية وكل ما سوى الله خاضعة لإرادة واحدة ، كلها تدور وتتحرك بإرادة واحدة من السدودة إلى الفيل . . من الفرش إلى العرش كلها تتحرك بحياة واحدة وتديرها

إرادة واحدة، ويجب أن يحصل لـه اليقين بهـذا المعنى « فاعلم أنـه لا إله إلا الله ـ لا شريك له » .

من الجهل أن يرىٰ نفسه مالكاً : ـ

كيف تجعـل من نفسك شريكاً لله ؟ . . خـاطب نفسك . . . أنت تقـولين أردت كـذا ، فلماذا صـار هكذا ولم يقـع ذلك ؟ كيف تـدّعـين المالكية ، وما هي النسبة المالكية التي بينك وبين الأموال والأولاد ؟

إنني تعبت كثيـراً حتى جمعت هـذه الأمـوال ـ فلمـاذا ذهبت من يدي ؟ أنت كنت جاهـلاً عندمـا كنت تتصور أنـك مالك حقيقي لهـذه الأموال . . هذه الأمـوال أمانـة بيدك من المـالك الحقيقي فـلا يمكن أن تنسبهـا إلى نفسك حقيقـة . . طبعاً بـالنسبة إلى حق المـالكيـة الشـرعي فهـو محفـوظ ، وعلى الآخـرين أن يحترمـوا هـذه المـالكيـة . . . ولكن الحـديث بالنسبة إلى المالكيـة الحقيقية والمنحصرة بالله تبـارك وتعالى ، فلا تخدع نفسـك وتتوهم أنـك المالـك المستقل والحقيقي لهـا ، المال في الحقيقـة مـال الله ، أمـا أنها وصلت إليـك بسبب التعب والكسب أو الإرث أو أي وجه شرعي آخـر ونسبت إليك فـلا تتصور لنفسـك ملكاً حقيقياً ومستقلاً وتنسى المالك الحقيقي لها .

الوالدان . . لا يتصورا أنهما المالكان للولد : ـ

أو بالنسبة للأولاد . . على الأولاد بأن يراعـوا حق الأب والأم . . وواجب الأب هـو أن يتكفـل لبـاس وغـذاء الـولـد . . وظيفـة الأم أن

تقوم بإرضاعه الحليب، فمع إيجاد هذه الأحكام لا تنخدع وترى نفسك ربا لهذا الولد .

تقول أنا الذي ربيته . . فأنت من الذي رباك ؟ الله الذي رباه على يدك وأنت لم تكن إلا وسيلة لا أكثر !! الله الذي ألقى محبة الولد في قلب الأب والأم ، وبتلك المحبة تحملت آلام السهر في الليالي والتعب من أجل هذا الولد . . هذا الحليب الذي تضعيه في فم هذا الولد من الذي صنعه ؟ ومن الذي جعله جزءاً من جسم هذا الطفل في جوفه ؟ . من الذي جعلك تتحرك وتقوم من مقامك غير الله ؟

فلا تدّعِ ما ليس لك . . عليك ألا ترى نفسك مالكاً للطفل . . أيضاً لا تدّعِ لنفسك بأي حق .

من أنا حتى يكون لي حق الطاعة ؟ : ـ

طبعاً لا ينبغي الاشتباه، فالحق الشرعي بمكانه . فعلى الولد أن يحب ويطيع ويحترم الوالدين . . ولكن من لوازم العبودية والمعرفة أن لا يدعي الأب والأم لنفسيهما حقاً ، فمن أنا حتى يكون لي حق الطاعة .

ويؤمر الأولاد باحترام وإكرام الأب والأم ، لا أن يتصور أنهما كل شيء بالنسبة له بل إنهما سبب من أسباب الله سبحانه . . . وهكذا .

الدوام على التقوى لازم : ـ

أريد أن أبين مسألة الاطمئنان . . فالإنسان بحاجة إلى مدة

طويلة لكي يصل إلى مقام الاطمئنان يعني يستقر على صراط التوحيد ويثبت على كلمة لا إله إلا الله ، انتبهوا إلى الآية الكريمة التي قرأتها :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .

من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

أولئك الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فقد تمرنوا لذلك عمراً واجتازوا مراتب التقوى ، يستغفر بمجرد أن تزل قدمه . . ويرجع عندما ينحرف عن صراط التوحيد ، حتى يصل إلى الإيمان المستقر والمطمئن ويكون من أولياء الله ، فذلك الوقت لا خوف عليه ولا حزن .

الخوف والحزن ليس للنفس المطمئنة : ـ

لا يحزن لو انعدمت جميع الوسائل ، لا يجزع على موت أولاده ، ولا يحزن على ذهاب أمواله فلا ربط لي بالمسألة . . صاحبها الذي أعطى وأخذ . . والمحيي هو المميت ، فهو قانع بكل ما يراه صلاحاً له فلا يحزن على فقد أي أمر من الأمور المنسوبة إليه .

فـ « أنا » غير موجودة في الوسط . . لا استقلال في العمل « العبد وما في يده لمولاه » . رزقي مع من ؟ هل هو بهذا المال والمحل ؟ فلو كنت أعتقد ذلك فإني كافر ، فذلك الذي خلقني هو

الذي تعهد برزقي ، فما دمت في الدنيا فأنا على مائدته وبساطه وعندما أموت فأنا أبقى على مائدته ، فالرزق ليس محصوراً في الدنيا فبعد الموت أنا أيضاً محتاج إلى الرزق البرزخي والأخروي .

رزق كل عالم يتناسب وذلك العالم ، ورازقك هو خالقك .

لا خوف من المستقبل أيضاً : ـ

فهو لا يخاف مما سيأتي أيضاً ، لا حزن على الماضي ولا خوف من المستقبل ، لا أحد من أولياء الله يخاف من المستقبل ، لأنه لا يرى لنفسه مستقبلاً ، فحياته وموته غداً غير معلومين عنده حتى يهتم بما سيحدث له .

كم من الأشخاص المساكين الذين يتألمون لسنتهم القادمة في حين أن كفنهم موجود في السوق ، ليس لهم أسبوع حتى يحزنوا على شهر ، أما الذي صار من أولياء الله وله نفس مطمئنة فلا يخاف مما سيأتي ، من جهة أنه لا يرى لنفسه مستقبلاً ، وحقاً ، (يا من بيده ناصيتي) يا إلهي الذي بيده ناصيتي وحياتي ، أنا عبد كل ما تدبره لي ، فإذا كان جزءاً من عمري فسوف يأتي مع لوازمه ، فأنا لست وحدي ، بل لي وليّ ومرشد فالذي له وليّ قوي ورئيس أكبر فمن أي شيء يخاف . فهو لا يحزن على عدم وجود شيء ولا يخاف على مستقبله وانعدام الوسيلة ، لأنه مستسلم وخاضع تماما فليس هو المالك ولا الآخرون .

بكاء النبي على وفاة ابنه إبراهيم : ـ

لا يحـزن مع فقـدانه شيئـاً . . فلو قال أحـد : كيف أن رسول الله والأئمة عليهم السـلام كـانوا يحـزنون إذا فقـدوا شيئاً . . فعنـدما مـات إبراهيم ابن رسول الله فقـد بكى النبي عليه أو أنـه كان يحتضن عـزيزه الحسين ويقبله ويبكي . . وجواب هـذا الحزن هـو أولاً « لا قياس بـين عدل الأولياء ونفسـك » . فبكاؤنـا أنا وأنت من أجـل أمور نفسيـة . . لأن ابني وطفـلي قـد مـات ، فلمـاذا فـارق الحيـاة ؟ ومن شـدة الحـزن نغضب اعتراضاً عـلى ذلك لا سمـح الله ، كما نـرى حالـة عدم الصبـر من بعض الجهـال لمـوت بعض أقـربائهم والجـزع الشـديـد بحيث لـو استطاع أن يصل إلى عزرائيل لقطعه أرباً أرباً .

لماذا أخذت ولدي ؟ هناك نوع من الذاتيـة والشعور بالاستقلال في البين !

يميت في أي وقت يراه صلاحاً : ـ

أمـا الإنسـان الـذي صـار من أوليـاء الله ففي أي وقت أراد مـوتـه فسيقبله بصدر رحب .

اين جـان عـاريت كـه بحـافظ سپرده دوسـت
روزي رخش بـبينـم وتـسـلـيم وي كـنـم

فهـذه الروح التي أودعت عنـد حافظ كعـارية سيأتي اليـوم الـذي

يقوم بتسليمها إلى من أودعها . .

قــول جميل . . . فالروح ليست ملكي فهو الذي أعطى وهو أيضـاً يأخذ فكيف الأمر بالأولاد والأقرباء ؟ الله هو الذي يحيي ويميت .

الترحم الروحي غير الأمور النفسية : -

كيف يمكن بيان بكاء النبي على ولده إبراهيم ؟ . . . بالامكـان أن نتنزل بهذه الحقائق ونخرجهـا بصورة ألفـاظ إلى حد قـابل للفهم لـدى الجميع ، وهو أن نقـول إنـه ترحم إلهي وليس من جهـة النفس والهـوى والاعتراض والسخط على القضاء والقدر .

الترحم الإلهي مثل الترحم على شهيد عاشـوراء (الحسين) (ع) ، المشهد الذي هو محل الترحم ، فكل من يرى الحسين يـوم عاشوراء أو يسمـع به وكـان لـه قلب فسيحصـل في قلبـه تـرحم أصله من خـالق العالم . فهو ترحم وليس نفساً وهوى ولماذا وكيف ؟ على كل حال فهو حزن إلهي وليس حزناً من طريق النفس والهوى .

آخر بكاء للحسين في الوداع الأخير : -

الشيـخ الشـوشتري يقـول في الخصـائص الحسينيـة ، إن الحسين (ع) بكىٰ يـوم عاشـوراء ست مـرات ، بعد ذلـك يذكـر هـذه المـرات الست ، وواقعاً إذا تحقق الإنسـان من ذلـك يـرى أن بكـاء الحسـين في جميـع هـذه المـرات الست كـان من بـاب التـرحم ، مكـان ظهـور

الرحمة . . . فهو يترحم وتجري دموعه .

آخر بكاء له عند وداعه الأخير. . عندما وضعت سكينة وجهها على ظاهر قدم والدها وأخذت تبكي ، مشهد تتمزق له القلوب . . . الحسين (ع) يجلس ويأخذ ابنته ويجلسها في حضنه ويمسح بيد الرحمة على رأسها ووجهها :

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثماني

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك ، راضية بقضائك ، مولعة بذكرك ودعائك ، محبة لصفوة أوليائك ، محبوبة في أرضك وسمائك ، صابرة على نزول بلائك ، شاكرة لفواضل نعمائك . . .

الاتصال بالأرواح العالية : ـ

تشرح لنا هذه الآية المباركة أمراً وهو أن الغرض من دعوة

الأنبياء وإنزال الكتب السماوية وصول الإنسان إلى مرتبة الاطمئنان والرضا والتسليم التي هي أعلى المراتب التي يمكن للإنسان أن يصلها خلال هذه الأيام المعدودة ، وعندما يصل إلى هذه المرتبة يتصل بالأرواح العالية وعلى رأسها محمد وآل محمد .

ولأجل أن يتضح الموضوع أكثر نتوجه إلى عبارات من زيارة أمين الله لتتوضح النفس المطمئنة أكثر .

زيارة أمين الله ، جامعة ومهمة : ـ

أول حاجة تطلب « اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك » . . . هذه الزيارة الشريفة لـ «أمين الله» مع أنها مختصرة ولكنها واقعاً زيارة جامعة ومن أفضل الزيارات .

احد الأشخاص المؤمنين يسأل : كيف تكون زيارة أمين الله افضل من جميع الزيارات مع أنها لا تتجاوز صفحة واحدة لا أكثر .

فقلت له : إنها من حيث الكمية وإن كانت قليلة ، ولكن انظر إلى كيفيتها ، هذه الزيارة الشريفة إذا قصد أحد التوجه بها وكان طالباً لهذه المقامات فإن جميع النعم المعنوية تطلب في ضمن هذه الزيارة .

خلاصة من الزيارات المطولة : ـ

إذا عرف الإنسان الإمام بصفة « أمين الله » يكفي ذلك أن

يخاطب الإمام عن اعتقادٍ ويقين ويقول : انت القيم على خزائن الله . كل ما يصل إلى العالمين إنما يصل بواسطتك . . أن يصدق بهذا المعنى .

« أشهد إنك جاهدت في الله حق جهاده . . . وعملت بكتابه . . . واتبعت سنن نبيه » .

قصدي هو أهمية هذه الزيارة من ناحية الكيفية ، فلو استطاع إظهار هذه الحقائق عن حضور القلب فهذه الأسطر القليلة تعادل عدة صفحات من الزيارة ، وهي خلاصة لتلك المطالب المفصلة .

اطمئنان النفس أول الحاجات : ـ

(اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك) .

يطالب بأعلى درجة . . مقام سلمان وأبي ذر ، حتى يصل مقامه إلى الاتصال بالنفس الكلية الإلهية ، محمد وآله عليهم السلام .

النفس في هذه الآية . . . هي الحقيقة الإنسانيا التي يكون الجسد وسيلة لإجراء أوامرها ، هي التي تشير إليها « أنا » وتقول أنا ذهبت ، أنا قلت . . أنا فعلت .... إشارة إلى الذات والحقيقة .

المطمئنة أيضاً من الاطمئنان بمعنى القرار والسكون والذي هو ضد الاضطراب والتزلزل . . فالإنسان يبقى مضطرباً حتى يصل إلى الاطمئنان . . الاضطراب في أي شيء ؟ .

شرح الموضوع : -

الاضطراب في الاعتماد على الأسباب المادية : -

الإنسان الذي لم يعرف الله لحد الآن ولم يصل إلى مقام اليقين ، فقلبه مضطرب في أي مقام كان أو مرتبة . فهو يعتمد في أموره المعاشية على الأمور المادية . .

فهو مثلاً يرى كيف أن بعض الشباب يدرسون ويتعبون حتى يحصلوا على درجات أكثر، ويأخذوا ورقة باسم الدبلوم أو الدكتوراه فعندما يرى أن هذه الورقة هي السبب في استخدامه في الإدارة وحصوله على الأموال فهو مضطرب وقلق دائماً خوفاً من عدم حصوله على الدرجة اللازمة .

أو الكاسب الفلاني نجده قلقاً خوفاً من التضرر بهذه المعاملة . . الجميع قلقون بهذا الشكل ، فاللسان يقول « لا إله إلا الله » ويقرأ القرآن ويقول بأن الأمور بيد الله ولكن قلبه لم يصدق بذلك بعد .

والسبب في ذلك أنه لحد الآن يرى للأسباب المادية استقلالاً . . يقول إن الخالق هو الله . . . المدير والمدبر هو الله . . ولكن حاله حال الكفر ، يعني أن يعتقد بأنه يحمل ثقل المعيشة على كتفه . يتخيل أنه فقد بهذه الأسباب يمكن إدارة الأمور وتدبيرها .

يرى لنفسه وللآخرين استقلالاً ذاتياً، لذلك نراه قلقاً عندما يرى

مستقلاً لوحده بدون حماية أو استناد ، لأن الأسباب لا تتفق مع مزاجه دائماً ، فكم من الأحايين يبتلى الشخص بفراق هذه الأسباب أو الخوف من فقدانها فينهار ويتحطم نهائياً .

الاعتماد على المال والأولاد . . كفر حقيقي : ـ

فمثلاً كان لديه أموال ويتصور أنها هي التي تسير حياته ، وقد فقدها الآن ، فكأن الدنيا قد وصلت إلى نهايتها ، يحتويه الهم والغم ، ولو رأى أحد صورته الملكوتية لرأى الكفر الحقيقي وكأنما ليس له إيمان بالغيب . فالآن وقد فقد سبباً من الأسباب فكأنما فقد كل شيء .

كان لديه أولاد ، وكان يأمل أن يكبر ولده ويعينه في كبره ، فعندما يموت سوف يفقد هدوءه ونرى عليه الفزع والجزع بهذا الشكل .

انتحار بسبب القلق : ـ

قد يصل انهياره من أجل فقدان السبب في بعض الأحيان بحيث لا يرى لنفسه أي أمل ، وينتحر . . .

الشاب الفلاني ينتحر لأنه لم يقبل في امتحان البكالوريا ، لأنه يرى أن حياته معلقة في رقبته ، فكانت عينه على هذا السبب فقط ولم يصل إليه الآن لذلك يقطع أمله بالحياة وينتحر .

وهـذا هـو الكفـر الحقيقي[1] فهـو قلق ومضـطرب لأنـه يفتقـد الاطمئنان بالله .

طلب الاطمئنان عند قبر ولي الله : ـ

على كل حـال فالإنسـان ما دام لم يصـل إلى حد الاطمئنـان فهو في قلق في أية مرحلة كان .

أكبر نعم الله الإيمان الكامل « اللهم اجعـل نفسي مطمئنة بقدرك» إلهي أنـا جئت عند قبـر وليك أطلب منـك أن تمن علي بنعمـة اطمئنان النفس . . . يـا أمين الله ، يـا من بيده خـزائن الله ، أنت كن وسيلتي إلى ذلك .

مـا لم يصل إلى الاطمئنـان فهو في كفـر واقعي ، إيمانـه بـالأسبـاب وليس بمسبب الأسبـاب ، الشخص الـذي يصـل إلى حـد الاطمئنـان بخالقه يصير بحيث إذا فقد جميـع الأسباب الظاهريـة فسوف لا يفقـد هدوءه لأنه لا يرى نفسه لوحده وإنما له مولى .

---

(١) ﴿ قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ سورة الممتحنة، الآية ١٣ .

خزائن مولاي مليئة : ـ

ولأجل توضيح المطلب نضرب لذلك مثالاً : ـ

قول مالك الدينار أو شخص آخر بأن علة انتباهي هو حادثة وقعت في زمان ، أصاب مدينتنا القحط وكان جميع الناس في قلق شديد وحالة مؤلمة (نستجير بالله من القحط ، فأنتم تتذكرون أيام القحط قبل سنوات وفي أيام الحرب العالمية وما كان عليه حالنا) .

يقول : إنه في تلك الحالة والناس جميعاً في قلق وخوف رأيت غلاماً ضاحكاً مستبشراً وهو غارق في عمله .

فقلت له : كيف أراك ضاحكاً وكأنك لا تعلم بأن الجميع في وضعية يرثى لها ؟؟

فقال : إن خزائن مولاي مليئة بالطحين فأنا لست حزيناً ، فخزينة سيدي مليئة !!

فوراً تنبهت إلى أن حالة هذا الغلام مع مولاه الظاهري بهذه الصورة ، فقلبه قوي بخزينة مولاه وهو غير مضطرب أو قلق ، فيا ليتني كنت كذلك مع مولاي الحقيقي يوماً واحداً وأقول إن عندي إلهاً ، فأنا أمتلك كل شيء فخزينة ربي مملوءة دائماً .

فلو ضاعت الأموال فسأقول بأن لي رباً ، فإلهي قوة لقلبي ،

الأولاد لهم رب أيضاً : ـ

بعض الأحيان يقول ماذا أصنع وعندي عشرة أفواه تطلب الطعام . . أتعتقد أن مسؤولية المعاش ملقاة على عاتقك ؟ . . . الطفل مال الله ، وأنت أيضاً مال الله « وكل من أعطى الأسنان فهو يعطي الخبز » .

فهو حزين لأنه يفكر ، كيف سيكون حال أولادي من بعدي ؟

هو أيضاً له رب وبيده أمره ، فلا حاجة لأن يعتصرك الألم من أجله ، كل هذه المخاوف والآمال المادية واضطراب القلوب كفر وانقطاع عن الله .

المربي لنا جميعا هو الله فقط : ـ

كم يؤكد ويثبت القرآن المجيد مسألة التوحيد الأفعالي ، لعلنا نصل إلى درجة من الإيمان ، وكم يشرح لنا هذه الحقيقة بأن الأمور كلها بيد الله ولا شيء منها بيد الغير .

أنت وأنا والآخرون كذلك كلنا لم نكن أكثر من قطرة ماء عفنة والله هو الذي أوصلنا إلى هذه المرتبة ، كنت في المهد سابقاً ولم تصل إلى حد التمييز فمن الذي سخر لك الأب والأم يقومان بخدمتك ، في

ذلك الوقت لم يكن باستطاعتك الوقوف على قدميك ولم تكن مستقلاً ، فكيف أصبحت اليوم مستقلاً ؟

فالرزق بيد الله وليس بيدك ، ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾[1] .

استمرار حياتك أيضاً معلق على إرادته وما دمت حياً فسيوصل إليك رزقك .

نعم . . من أجل الحكم والمصالح فقد أمر بالسعي لتحصيل الرزق والتكسب ، عليكم أن تزرعوا وتزرعوا ، وإلا فالمطر ليس بأيديكم ، واستمرار حياتك مرتبط بالذي أعطاك أصل الحياة، فلذلك لا ينبغي أن تقلق على قلة أو زيادة الأسباب .

إذا بقيت إلى الغد فسيصلني رزقه :-

سمعتم بالصحابي أبي ذر فقد أرسل إليه معاوية بمئتي دينار عسى أن يرجع عن علي (ع) فأشار أبو ذر إلى جراب وقال :

ما دام هذا الجراب موجوداً فإني غير محتاج .

فلما نظروا إليه رأوا فيه قرصين من الخبز . فقال :

أحدهما يكفيني للإفطار والآخر للسحور، فإذا كان الغد من

(١) سورة هود : الآية ٦ .

عمري فالله سوف يوصل إلي برزقه ، فاليوم القادم مشكوك أنه من العمر فلماذا أحمل همه ؟

فالذي رعاني ودبر أموري لحد الآن ، سيرعاني في بقية عمري .

يجب أن تكون على يقين بأنك غير محتاج إلى أي أحد وأي شيء سوى الله . فكل ما سوى الله مخلوق، فحتى أصحاب المقامات العالية محتاجون إلى الله وإلى ما تكون عليه إرادة الله . هذا فيما إذا كانوا هم السبب في نجاتك بواسطة كان ذلك أو بدون واسطة .

مؤمن أصابه البلاء في قعر بئر : -

هل سمعتم بقصة ذلك الرجل الإلهي أم لا ؟

بينما كان يسير في ليلة مظلمة وسط الصحراء إذ وقع في بئر ، وبقي متورطاً في قعر البئر . . فجأة يمر بعض المارة فيضع صخرة كبيرة على فوهة البئر لكيلا يسقط أحد فيه ويسد فتحة ذلك البئر .

ولكن هذا الشخص كان أمله بالله وهو في قعر البئر ، وكان على يقين من أنه لو كان لعمره بقية ولم ينته أجله فسوف ينقذه الله .

فجأة رأى أن بعض الأتربة تسقط على رأسه، فنظر فرأى ما يشبه ذيل الحيوان وقد تدلى إلى الأسفل فتمسك به وصعد إلى الأعلى .

يجب أن ينقذك الله بأي وسيلة أراد أن ينقذك بها من البئر . ولو لم يرد ذلك فلا يمكن ذلك بأية وسيلة كانت .

الخوف والحزن بعيد عن أولياء الله : ـ

الله هو مدبر الأمور . . . وبيده تدبير جميع الأمور ، وبالنسبة إلى أي شخص كذلك ، فجميع ذرات عالم الوجود مدبرها هو الله .

غرضي أن يتضح بأنه ما دام الإنسان خائفاً وحزيناً على فقد الأسباب فهو ليس من أولياء الله ، لأن أولياء الله لا يخافون ضياع أحد الأسباب المادية ولا يصيبهم حزن على ما هو آت .

« راضية بقضائك » فلو رأى ربي الصلاح في أن أصاب بهذا البلاء فذلك خير لي ، ولو لم يكن صلاحاً فسوف لا يقع ذلك ، فلذلك فهو غير قلق لا من الماضي ولا من المستقبل .

الشيء الذي يتخوف الناس العاديون منه إذا أراد الله أن يقع فحتماً سيكون خيراً لي فلماذا أتألم ؟ وإذا لم يرد الله فسوف لا يقع إطلاقاً .

الحسين (ع) وزينب (ع) نماذج الأطمئنان الكامل : ـ

الحسين (ع) يعلم منذ أن تحرك من مكة بأن المشاق والصعوبات في انتظاره ولكن بما أن لله فيها رضا وصلاح ، وارتقاء درجة الحسين (ع) متوقفة على تحمله هذه المشقات ، فقد قبلها الحسين (ع) . الحسين (ع) له نفس مطمئنة ، له استسلام لإرادة الله . . وراضي

بقضاء الله . وما أكثر ما حفظت زينب (ع) هدوءها وثباتها في هذا السفر أيضاً .

بل إنها كانت تهدىء العيال والأطفال أيضاً . .

ما هذا الذي يفعله الأيمان والنفس المطمئنة ؟

يروون حالات زينب (ع) أنها عندما كانت في مجلس ابن زياد ويزيد وسوق الكوفة كان حالها بشكل كأن لم يصبها ما أصابها .

الشيعة راسخون كالجبال : -

نعم . . فالمؤمن كالجبل في الثبات ولا تحركه رياح الحوادث . . . إلهي أيمكن أن نستفيد نحن أيضاً من النفس المطمئنة . . أن نحصل على مرتبة من الرضا والتسليم ويكون لنا شبه بشيعة أهل البيت (ع) .

أنا أتصور أن بيننا وبينهم فاصلة كبيرة ، وعند الامتحان يكون معلوماً مقدار تعلقنا بالأسباب المادية والاتكال على ما سوى الله .

يجب أن يمتحن أولياء الله بفقدان الأسباب . . . يمتحن إبراهيم (ع) ليصل إلى مقام الخليل . . أنت تريد أن تصل إلى منزلة سلمان وحبيب بن مظاهر . فهل حصل لك الاطمئنان بربك ، أو أنك قلق وتتصور نفسك مستقلا ، وقد جعلت لك أسياداً ؟ تتساءل باستمرار لماذا كان كذلك وكيف ومتى ؟ لأنك لا ترى نفسك عبداً ، وتعين

المصلحة بنفسك، وعندما يقع خلاف ما تتوقع وتريد فسوف . تعترض . . .

التسليم لما أراد الله . . رضا : ـ

لماذا قالوا في معنى الرضا إنه ترك الأعتراض . . أن يكون حاله بشكل لا يحس بأي اعتراض على ما سيحدث له ، راضٍ بكل ما أراد الله ، ففيه صلاحي وخيري . .

عندما نقرأ زيارة أمين الله يجب أن نطلب من كل واحد من الأئمة (ع) أن يتوسط لكي يوصلنا إلى مرتبة النفس المطمئنة والرضا بقضاء الله « اللهم أجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك » .

عندما تتوسلون بأهل البيت أيضاً اطلبوا هذه النعم الباقية ، وعندما تريد أن تموت ينبغي أن لا يختلف وضعك عن حالك الطبيعي أبداً ، فلا تحزن على ذهابك من هنا ، فرازقك في الدنيا هو الله وفي البرزخ الله كذلك ، ويوم القيامة أيضاً كذلك .

ويقرأون على جثماننا أنه « إلهي عبدك وابن عبدك قد نزل بك » فلو كان حالك عند الموت كذلك فإن أثره سيكون كبيراً حتماً وتصدق حقاً بأنك قد وردت على بساط اللطف الإلهي . .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

صدق الله العلي العظيم

تحرك وفق إرادة الله واترك ميولك : -

إن المستفاد من الأدلة العقلية وآيات القرآن هو أن الله سبحانه تعالى خلق البشر للعبودية ، والبشر مستعد أيضاً للعبودية بفطرته ، فالله قد جعله على رأس طريقين ، فبإمكانه أن يكون عبداً للأهواء والشهوات ، ويمكنه أن يكون عبداً لخالقه أيضاً .

الحيوانات مجبورة على إطاعة الهوى والشهوة ، لكن البشر خلق مختاراً ، وهذا هو امتياز الإنسان عن الحيوان . فالحيوان لا عمل له سوى اتباع الشهوات وميوله النفسية ، أما الإنسان الذي يمكن أن يصرف نظره عن ميوله ويتحرك بإرادة مولاه ، كما يمكنه أن يكون عبداً

للهوى كذلك يمكنه أن يكون عبداً لله .

بعض النـاس يسلكون الطريق الأول طريق اتباع الميول النفسيـة والأهواء ،والبعض الآخر نجده يتخذ الطريق الثاني وهو إطاعة الله .

أكثر الناس أصحاب نفوس أمّارة : -

في كـل دورة من الزمـان نجد أن أكـثر النـاس من أتبـاع الهـوى ، جعلوا سـلاسل عبـودية الشيـطان في أعنـاقهم ، ولا هـدف لهم سـوى الملذات والشهوات .

هؤلاء يقال عنهم إنهم أصحاب نفوس أمارة ، والأمّـارة مبالغة في كونه أميراً . .

فـالأمير الموجود في بـاطنه هـو هوى النفس . . . فبمجـرد أن تقع عينـه على امـرأة أجنبية يميـل إليها ويتبعهـا . . بمجرد أن يعلم بـوجـود اموال يتجه نحوها ولا يلتفت أبداً بـإنـهـا حرام أو حلال ،وحتى عندما يقـال له بـأنها حرام نجـده يسخر من ذلـك،فهذه هي النفس الطاغيـة المعاندة .

عبادة وشهوات في نفس الوقت : -

ولا يختص ذلـك بالكفـار . . . كثير من المسلمـين أصحاب نفـوس أمـارة وحتى عندمـا يؤدي العبادة فـذلك بـأمر النفس كـأن يكون ريـاءً

مثلاً ، يعبد من أجل الشهرة والظهور أو ميول نفسية أخرى .

يطلق عنوان العبادة على المعاملة والسياحة أو التجارة ويجعلها بإسم الحج . . . العبادة التي تؤديها النفس الأمارة نابعة من حكومة النفس ، ولو صدر منه عمل صالح نراه يكبر ويعظم هذا العمل . فهو في الحقيقة لم يعمل سوى الشر لأنه أطاع النفس والهوى بهذه العبادة .

خيره شر فكيف بشره : -

ما دامت نفسك أمارة ، فخيرك قبيح وشر ، فالويل من شرك . . فلو قمت بأحسن الأعمال بدافع من شهواتك النفسية فهي شر ويكون هو الطاغية الذي يكون مكانه في جهنم ، فليس لديه سوى حكومة النفس وكبريائها .

لكن علي أن أبين المرتبة الثانية حتى تتضح المرتبة الأولى أكثر .

النفس اللوامة تنفر من الذنب : -

المرتبة الثانية يقال لها النفس اللوامة ، وقد أقسم القرآن المجيد بها ، فالإنسان في حكومة هذه النفس يكون بحيث إذا صدر منه إطاعة للنفس والهوى نجده يتألم . . . النفس الأمارة ترتكب الذنب ولا تهتم لذلك ولا تمتنع عنه ، ولكن عندما يريد الإنسان أن يسير في

طريق الله فسوف ينفر ويتألم عندما يصدر منه إطاعة للهوى في البداية : لماذا تركت هذا الواجب ؟فيلوم نفسه لذلك .

ويعلم بأن الأيمان موجود : -

حاصل الرواية الشريفة في بيان الفرق بين المؤمن والكافر هو أن الكافر إذا صدر منه ذنب فكأنما استقرت على أنفه بعوضة ثم طارت ولا يهمه إن أكل مال الناس ، وكأنه لم يفعل شيئاً .

أما المؤمن فإذا صدر منه ذنب فمثله مثل الذي كان إلى جانب الجبل وقد سقطت عليه من ذلك الجبل صخرة عظيمة ، فكم يكون حاله وخيماً وشاقاً ؟ فالمؤمن كذلك . . . إذا صدر منه ذنب فسيبقى يئن إلى الليل : أنا الذي وجهت ألى أمي كلاماً فظاً . . فلأنه مؤمن فقد أصبح صاحب نفس لوامة وأخذ يلوم نفسه بنفسه .

النفس المطمئنة لا يصدر عنها ذنب : -

يروى عن الإمام الباقر (ع) في باب علامة الإيمان :

« من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن » .

إن الإمام (ع) لا يقول إن علامة المؤمن أن لا يرتكب ذنباً أبداً . بل إنه إذا صدر منه ذنب فسوف يتألم لذلك وأنه كيف صدرت منه هذه المعصية ؟؟ إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة بحيث لا يصدر منه ذنب بعدها . ولكن النفس الأمارة تطغى وتتكبر .

نهاية كل نفس أمارة هي النار ، فالقرآن المجيد يؤكد على أن جهنم هي المأوى لكل طاغية والذي لا يهمه أن يخالف أمر الله . فإذا أصابته نعمة قال إنها بفضل ذكائي وحيلتي وعملي ، أما لو كان العكس بأن سلبت منه النعمة فسوف يطغى ويعترض ويكون في حالة نزاع مع عالم الوجود .

النفس اللوامة خاضعة وصابرة : ـ

ويعكس ذلك إذا أصبحت لوامة فسيكون خضوعه وخشوعه اكثر ، فيرى أن مولاه قد رحمه ومنّ عليه بدون أن يكون مستحقاً لذلك .

والذي أصبحت نفسه لوامة يكون أقدر على تحمل الشدائد ، ويندر انّ يعترض على القضاء والقدر الإلهي . وطبيعي أن هذا الموضوع لا يحصل من الدراسة ، فقد نجد أن إنساناً أمياً من عوام الناس أنعم الله عليه بذلك في حين أن هناك شخصاً متعلماً وعالماً فاقداً لها .

وقد خطر على بالي قصة مذكورة في كتاب المستطرف .

المرأة البدوية والصبر عند موت الولد : ـ

ينقل عن بعض حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يسافرون في

السابق عن طريق تلك الصحاري الحارة بواسطة الإبل بانسا وصلنا إلى خيمة في أثناء الطريق وكان في تلك الخيمة أمرأة وحيدة ، فطلبنا منها طعاماً ، فقالت :

تفضلوا بالجلوس فبعد ساعة يرجع ابني مع الخادم وقد ذهبا لرعي الأغنام ، وبينما كان الحجاج في الخيمة إذ لاحت لهم مقطعات الأبل والأغنام ولكن الراعي كان متغيراً وحزيناً ، فتقدمت إليه المرأة وسألته عما حدث ؟ فقال :

عندما كانت الإبل تتدافع نحو الماء للشرب تزاحمت فيما بينها وسقط ولدك في البئر (الآبار المذكورة كانت عميقة جداً وإذا سقط فيها أحد فلا أمل في خروجه حياً) .

أجابت المرأة : احذر أن يصدر منك صوت لأن عندنا ضيوفاً فتسلب راحتهم . اذهب فوراً واذبح خروفاً وهيئه للضيوف . فلما علموا بذلك قال لها أحد الحجاج بأننا آسفون لهذا الحادث ، وقد صرنا مزاحمين في هذا الوقت .

فاجابت المرأة باني لم أكن راغبة أن تطلعوا على ذلك فتتألموا ، ولكن الآن وقد فهمتم ذلك فاعلموا أن واجبي الآن هو الصبر ، فمن منكم يمكنه أن يقرأ القرآن؟ فأخذ أحد الحجاج يقرأ آيات من القرآن التي يذكر فيها بأن الله يبشر الصابرين على المصيبة بأن يجازيهم بالصلاة والرحمة والهداية[1] .

---

(١) ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس

فقالت المرأة : كفى (يكفينا هذا المقدار إننا نمتثل أوامر الصبر ونحصل على هذا الجزاء) وقامت وتوضأت وصلت ركعتين ، وبعد الصلاة رفعت يديها بالدعاء وقالت : إلهي إذا كان البقاء مكتوباً لأحد في هذه الدنيا لكان نبيك حياً . . . إلهي أمرتنا في القرآن بالصبر ، وأنا أمرأة ضعيفة وسأصبر . . . إلهي فلا تحرمنا ما وعدتنا به من الجزاء .

قالت ذلك وقامت بخدمة الضيوف وكأن شيئاً لم يقع .

عدم تحمل النفس الأمارة : ـ

إذا كانت النفس أمارة فإنها سوف تطغى مقابل القضاء والقدر ، تجزع وتفزع في مقابل أقل مصيبة وكأنها صاحبة حق على الله وقد اخذ منها حقها المسلّم .

اريد أن أوضح معنى النفس الأمارة حتى لا نتصور بعد سنين طويلة من العمر أننا بلغنا عمق الإيمان، لكن الواقع هو أننا غارقون في النفس الأمارة ، بحيث نعتقد بأن تشخيص الصالح لنا هو من صلاحياتنا .

والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧

النفس اللوامـة لا عنـاد لهـا ، فلو صـدر منهـا ذنب فسـوف تلوم نفسها ، وتتألم من نفسها .

العبودية على أي حال من أثر النفس المطمئنة : ـ

الـدرجـة الثـالثـة والنـادرة هي الـوصـول إلى كمـال الاطمئنـان ، والجلوس دائماً على عتبة البيت الإلهي لا غيره .

وليس المقصـود أن يكون ٢٤ سـاعـة في المسجـد بـل أن لا يصـدر منـه طغيـان أبـداً ، وليس لـه ذهـاب ورجـوع . . يعني تـارة للنفس وأخـرى لله . . بل هـو عبد في كـل الأحوال ، فـإذا أصابتـه نعمة فهـو عبـد ولو خـرجت من يده فهـو عبد أيضاً ، فلو أن جميع وسـائل الـدنيـا والـراحة اجتمعت لـديـه فهـو أيضـاً عبـد ، وإذا وقـع مـا يخـالف ميله فكذلك هو عبد لا يطغى .

فهكـذا إنسان يصبـح من السـابقين وليس من أصحـاب الشمـال أصحـاب النفـوس الأمـارة ، ولا حتى من أصحـاب اليمـين أصحـاب النفوس اللوامة **﴿لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيامـاً وقعوداً وعـلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾** .

لا يتفرعن على الأدنى منه : ـ

هو عبد في كل حال . . . عندما يأتي إلى زوجته وأطفـاله فليس لـه

منة عليهم إطلاقاً ، فهو الذي لا يرى نفسه الرازق لهم بل يعمل بما أمره الله من الإنفاق على الأهل والعيال .

فهو لا يطغى في حال السرور والفرح كما أنه لا اعتراض لديه على القضاء والقدر الإلهي عند الشدة والمحنة . فعبوديته متساوية .

عندما يؤدي الواجب تجده حاضراً في أول وقت الصلاة ، إنه يهرب من الحرام والنواهي الإلهية . في القضاء التكويني هو عبد أيضاً سواء كان في ضراء أو سراء، في نعيم أو شقاء .

النجاشي يظهر خضوعه :-

عندما كان الصحابي جعفر الطيار مع جماعة من المسلمين وقد هاجر إلى هناك ليكونوا في مأمن من أذى المشركين . وفي يوم من الأيام دخلوا على النجاشي إمبراطور الحبشة فرأوا أن الإمبراطور قد لبس ثياباً بالية وهو جالس على التراب .

جلس جعفر والمسلمون عنده ، وبعد السلام والتحية سألوه عن هذا الوضع العجيب الذي نراه منك ، فقد تركت تخت السلطان وجلست على التراب فهل حدث حادث .

أجاب الأمبراطور : لقد وصلنا من المسيح (ع) أنه في كل وقت يرزقكم الله نعمة جديدة فتواضعوا من جديد ، واليوم رزقنا الله نعمة

جديدة وهي البشارة بانتصار محمد (ص) على المشركين وأردت أن أكون خاضعاً لله شكراً على هذه النعمة .

لا يرى لنفسه حقاً على الله : -

احذر أن تطغى في حالة الرخاء والرفاه ، أو ترى نفسك مستحقاً لذلك ، كما أن بعض الجهال يقولون : بما أن نيتي كانت خيرة وباطني مقبولاً فلذلك صنع الله كذا وكذا . . . لأن أعمالي صحيحة فلذلك يجب أن يعطيني ربي . وفي حالة العسر والشدة التي هي قضاء إلهي أيضاً فسوف يزداد الخضوع والانكسار . . . وعلى كل حال فهو عبد .

سرور القلب وجنة الروح : -

إذا اطمأن الإنسان إلى العبودية سواءً في القضاء التكليفي أو القضاء التكويني . . إذا كان ملازماً لصراط العبودية ٢٤ ساعة ، ولا يتغير حاله في حالة اليسر أو في حالة العسر ، فستكون النفس مطمئنة وراضية بالله بحيث أنها تعيش في جنة روحية واقعاً . . . قلبه سعيد حتى في حالة المصيبة بمشيئة الله ، لأنه لا توجد حكومة للنفس بعد الآن ، وليس لديه تساؤل واستفهام وقد سقطت حكومة النفس الأمارة . والخاصية الأولى لذلك هي زوال حالة الاستنكار والاستفهام لماذا هذا الحر ؟ . . . لماذا سقط المطر أو لم يسقط ؟ فكل المصائب من أنانية هذه النفس ومقتضياتها ؟ لذلك فأول سعادة النفس المطمئنة هو

الرضا بحيث ليس لديها أي اعتراض على إرادة الله ، فهي راضية .

ملك الموت يقرأ هذه الآية : -

فعندما تكون راضية فستكون مرضية ومقبولة عند الله سبحانه وتعالى . وبحسب الروايات فهذه الآية الشريفة تطرق سمع صاحب النفس المطمئنة . وهناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها : إنه عندما يأتي ملك الموت لقبض روح المؤمن (المؤمن الذي وصل إلى النفس المطمئنة ، المؤمن الذي وصل إلى مقام الرضا) فلأنه أمر غريب فتصيب هذا المؤمن حالة الوحشة ، فيقول له عزرائيل : ·

أنا أرحم عليك من أبيك ، فلا تستوحش وافتح عينك وانظر إلى الأعلى (ليست العين الظاهرية بل العين الملكوتية والبرزخية ، وبتعبير آخر تلك العين التي ترى وتنظر بها في المنام ، فتلك العين ليست مادية وعندما ترى حلماً تقول رأيت) .

عندما ينظر المؤمن ما فوقه يرى الأنوار الطيبة والطاهرة لأهل البيت عليهم السلام ، وعندما يرى ذلك يأتيه النداء من الغيب ويسمع قبل أن تخرج روحه ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾ .

أماتة المؤمن وهو مسرور : -

في ابتداء تلك الرواية ، السائل يسأل الإمام الصادق (ع) : هل أن

المؤمن يموت وهو كاره ؟

فيجيبه الإمام : كلا بل يموت وهو مسرور ، بعد ذلك يوضح له الإمام كيفية قبض روح المؤمن كما ذكرنا قبل قليل .

وطبعاً إن الكنز لا يتيسر إلا بالتعب ، فيجب السعي للوصول إلى درجة عباد الله حتى يمكن الحصول على هذه النعم ، العين التي في الجنة في الأصل للخمسة من أهل البيت الممزوجة بما عند الأبرار والصالحين ، فعباد الله الذين ذكروا في سورة الدهر[1] هم مطلق أهل البيت وشيعتهم الأبرار .

استمرار اللوامة يوصل إلى الاطمئنان : ـ

تعالوا لنسعى الآن إلى الخروج من الأمارية ، فلو أننا لا نتمكن من الوصول إلى النفس المطمئنة ، أو لم نصل فلا أقل تكون نفوسنا لوامة ، فقم في وقت السحر واطلب العفو ولا تنس أن تكون خجلاً من الله .

لو استمر عمل النفس اللوامة فستكون عاقبتها الصلاح وتصل إلى النفس المطمئنة التي تكمن فيها سعادة الدنيا والآخرة .

سعادة الدنيا والآخرة لأولئك الذين وصلوا إلى مقام الرضا .

---

(١) ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴾ سورة الدهر .

بين الخوف والرجاء من قبول التوبة : ـ

ثم إن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء دائماً . . أنت تائب ولكن لا تكتف بذلك ، يجب أن تكون خجولاً من ذلك الذنب طيلة العمر ، ارفع رأسك وقل يا الله ، لا أن تعتمد مائة بالمائة على هذه التوبة ويكون ذلك موجباً لغرورك .

تعالوا نتوب توبة حقيقية : ـ

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ـ تعالوا نتب من سوابقنا توبة صحيحة ، لا تقل ألم أكن قد تبت ليلة أمس . . . متى صدرت منك التوبة التي تمحو الذنوب ؟ التوبة التي تطهرك من الدرن .

لذلك يقول زين العابدين (ع) : « إلهي وفقني إلى توبة تطهرني (ترجع لي محبتك) فأكون حبيبك » .

« أستغفرك من كبائر ذنوبي وصغارها وحوداث زلاتي وسوابقها ، أستغفرك من كل ما خالف إرادتك أو زال عن محبتك من لحظات عيني وخطرات قلبي وحكايات لساني وحركات جوارحي » .

الصحيفة السجادية . . دعاء التوبة

اذكروا بعض أخطائكم وحركوا النفس اللوامة ولوموا أنفسكم فأية نعمة شكرتم ؟

نحن لا نجد من أنفسنا سوى الكفران !!

* * *

الفهرس

منشوراتنا

- ميزان الحكمة ١٠/١ - محمدي الري شهري
- زبدة الكافي ٣/١ - تحقيق الشيخ محمد باقر البهبودي
- تهذيب الأصول ٢/١ - السيد عبد الأعلى السبزواري
- تحرير الوسيلة ٢/١ - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الاسلام ومنطق القوة - السيد محمد حسين فضل الله
- الزواج في الإسلام وانحراف المسلمين عنه - مجيد الصيمري
- الأئمة الاثنا عشر - دراسة تحليلية - عادل الأديب
- المشكلة الاجتماعية المعاصرة - الشهيد السيد نوري طعمة
- الدفاع الشرعي في الشريعة الاسلامية - الدكتور داود العطار
- نفقات الزوجة في التشريع الاسلامي - الشهيد الشيخ عارف البصري
- عبقات الأنوار في الأئمة الأطهار - حامد حسين الكهنوي
- دراسات في نهج البلاغة - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- التبرك: تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبي علي الأحدي
- عاشوراء ١٤٠٢ هـ - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- النص والاجتهاد - السيد عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- ملائكة الغيب قادمون - الشيخ علي كوراني
- المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين - تحقيق وتعليق أبو مجتبى
- انصار الحسين - الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- العدل الإلهي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- التوازن في الإسلام - محمد علي التسخيري
- دروس من الثورة الإسلامية في إيران - محمد مهدي الاصفي
- علي والفلسفة الإلهية - السيد محمد حسين الطباطبائي
- الجهاد الأكبر - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- مسألة الحجاب - للشهيد مرتضى المطهري
- الذنوب الكبيرة ٢/١، للشهيد عبد الحسين دستغيب
- مناسك الحج وهل هي وثنية - حسن شحادة
- التقويم بين تراث وثورة - نور باقر تقي
- الحسين مدرسة الأجيال - عبد العظيم المهتدي البحراني
- الدفاع عن المواقع الأيديولوجية الإسلامية ٣/٢/١
- مبادىء التربية الإسلامية - عبد الزهراء عثمان محمد
- نظرية السياسة والحكم في الإسلام - السيد محمد حسين طباطبائي
- المسلم صلاة وثورة - الشيخ زهير كنج
- الاسراء والمعراج - بنظرة عصرية - دراسة وتحليل - علي عسيلي
- المرأة مع النبي في حياته وشريعته - الشهيدة بنت الهدى
- النبي الأميّ - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- دعبل الخزاعي - حسين موسى
- الإيمان حقيقة وهدف ! بسام مرتضى
- مناسك الحج - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- بحث علمي تحقيقي حول أولي الأمر والولاية - السيد أحمد الفهري
- الاعلام اليهودي - الشيخ عبد الله حلاق
- الجهاد والتغيير - الشيخ عبد الله حلاق
- السلام بعد تحرير القدس - الشيخ محمد طحيني
- شهرالله - الشهيد السيد عبد الحسين دست غيب
- الصلاة - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الحكومة الإسلامية - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني

- القادة الأبرار ١ / ١٤ مع علبة
- رواد الفداء ١ / ١٠ مع علبة
- البقرات الثلاث - قصة
- العصافير الصغيرة والفيل - قصة
- الديك والقطط - قصة
- مشاهد النور - للأطفال - عبد الحليم خضرا
- شمعة السحر (صلاة الليل) سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- الرياء والعجب - سماحة آية الله السيد أحمد الفهري
- زبدة الأحكام - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- خلاصة الاعتقاد - محسن عطوي
- أساس الحكومة الإسلامية - كاظم الحائري
- الحياة السياسية للإمام الجواد (ع) - السيد جعفر مرتضى
- دليل الداعي في أيام الأسبوع وشهر رمضان المبارك

كتب وصلت حديثاً

- معجم مقاييس اللغة ١/٦ تحقيق عبد السلام محمد هارون
- كتاب البيع ١/٥ - سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- طبقات إعلام الشيعة ١/٤ - آغا بزرك الطهراني
- رسائل أخوان الصفا ١/٤ أخوان الصفا
- المكاسب المحرمة ١/٢ سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني
- الافصاح في فقه اللغة ١/٢ - حسين موسى - عبد الفتاح الصعيدي
- مفتاح كنوز السنة - ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي
- رجال الخاقاني - الفقيه الشيخ علي الخاقاني
- جواهر البلاغة - السيد المرحوم أحمد الهاشمي
- تعليقة شيقة على شرح منظومة السبزواري
- كتاب الصلاة - الشيخ عبد الكريم الحائري (غلاف)

- مكاتيب الرسول - علي الأحمدي
- أساس البلاغة - الإمام الزمخشري
- كتاب الزكاة - آية الله العظمى الشيخ حسين علي منتظري
- بداية الحكمة - العلامة السيد محمد حسين طباطبائي
- دراسات في علم النفس الإسلامي - الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور
- دروس من القرآن - محسن قراءتي (مجلد)
- فلاح السائل - السيد رضي الدين بن طاوس
- الممهدون للمهدي - الشيخ علي كوراني
- حقوق المرأة في النظام الإسلامي - الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر - سماحة آية الله العظمى الشيخ منتظري
- التعليقات لابن سينا - تحقيق الدكتور عبد الرحمن البدوي
- علم الأصول - علي الفاضل القائيني
- مبادىء الوصول إلى علم الوصول - العلامة الحلي
- معجم مؤلفي الشيعة - الفاضل القائيني النجفي
- قدوة الفقهاء - سيرة حياة آية الله العظمى المنتظري

كتب تحت الطبع تصدر قريباً

١ - دروس في التفسير - لسماحة السيد الفهري.
٢ - التوبة والعفو الإلهي - للسيد طاهر ابو رغيف
٣ - قصص أطفال - مجموعتان - مع علبة
٤ - نهاية الأصول - مجلد - تقريرات آية الله المنتظري عن السيد البروجردي
٥ - قصص الأنبياء للناشئة والفتيان - مع علبة
٦ - المرأة في التصور الإسلامي - الشيخ محسن عطوي (طبعة جديدة منقحة ومزيدة).
٧ - الدليل على موضوعات نهج البلاغة

هذا الكتاب

قلق النفس واضطراب الجنان همّا بحق آفتا هذا العصر، وكل عصر تحرمان صحبتهما من كل راحة، وتنأيان بها عن كلّ سكون، وتتقاذفانهما في كلّ مهب ومتاهة. وليس أدعى إلى الرضى - في هذه الحال - من العودة إلى ظلال الطمأنينة، حيث تستقر النفس، ويسكن الجنان وتثبت الخطى على الطريق.

وإلى هذه الطريق يسلك بنا هذا الكتاب، ويصف لنا العلاج الناجع، فنفوز بالنفس المطمئنة ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾